وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
القسم: التاريخ والآثار

المُهَجَرُون الجزائريون إلى كاليدونيا الجديدة

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماسترفي تخصص المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية

إعداد الطالبين:
منيررحموني
العربي براك

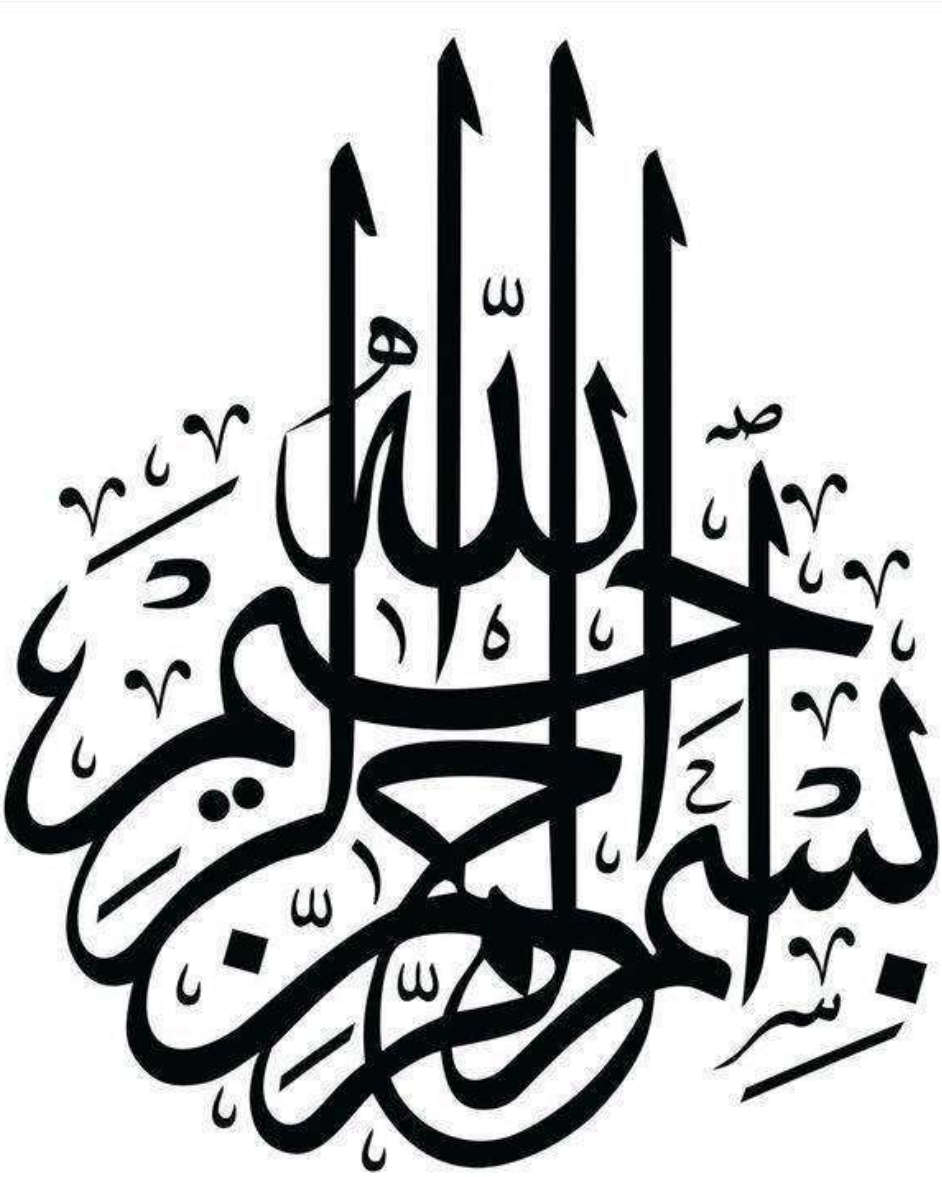
إشراف:
د. ضيف الله شلالي

الإسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
د. مختارسالمي	أستاذ محاضر (أ)	رئيسا
د. ضيف الله شلالي	أستاذ محاضر(ب)	مشرفا ومقررا
د. سعيدة زفزاف	أستاذ محاضر(ب)	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:

2024م/2025م

1446هـ-1447هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

شكروعرفان

الحمد الله، الحمد الله الملك القدوس السلام، أنزل علينا خير الكلام،
وجعل تلاوته مطهرة للقلب من الأدران والأثام، ومن علينا بدين الإسلام،
نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله المبعوث رحمة للأنام،
من التزم سنته اهتدى واستقام، ومن أعرض عنها تخبط في دياجير الظلام،
صلى الله عليه أفضل صلاة وأزكى سلام، ورضي الله عن صحابته الكرام: أبي بكروعمروعلي وعثمان،
ومن تبعهم إلى يوم الدين بإحسان،
أما بعد:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من لا يشكر الناس لا يشكر الله))
فلا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل والامتنان الكثير إلى من قدم لنا الكثير من النصائح والتوجيهات سواء بخصوص الدراسة أو خارجها، ولم يبخل علينا بشيء، إلى من كان مر افق لنا طيلة عملنا هذا، ليلا نهارا، إلى من صبر علينا باستفسار اتنا الكثيرة، وكان دوما ر افعا لمعنوياتنا وهمتنا، إلى ذلك الأستاذ الطيب ضيف الله شلالي أنار الله دربك ونور طريقك وبارك الله في عمرك وأرشدك لطاعته، كما نتوجه بالشكر الخالص للأستاذ قريتلي، الذي مد لنا يده وفتح لنا بابه ولم يبخل علينا بشيء منه طلبناه، ولكل من قدم لنا يد العون ونخص بالذكر أساتذة تخصص المقاومة والحركة الوطنية، ومسؤولي إدارة قسم التاريخ
والأساتذة المناقشين كل باسمه وصفته ومقامه
وكل من عمال المكتبة المركزية بالكلية ومكتبة مخبر الدراسات المتوسطية عبر العصور، مكتبة المتحف الجهوي للمجاهد بالمدية ومكتبة كنوز الذين لم يبخلوا علينا بأي شيء وفتحوا لنا أبوابهم.
والوالدين الكريمين على دعمهما لنا ماديا ومعنويا وفي كل الأوقات
وكل الزملاء وكل من قدم لنا يد المساعدة ونخص بالذكر: العجال صحراوي
كريم سنوسي، سفيان طرشي على زيلاب، وكل زملاء الآخرين

الإهداء:

الحمد لله الذي هدنا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدنا الله الصلاة والسلام على حبيب الخلق محمد صلى الله عليه وسلم.

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع إلى معنى الحنان والتي كانت دعواتها سر نجاحي جوهرة القلب الوالدة الغالية حفظها الله.

وإلى أغلى الحبايب والذي أحمل اسمه بكل افتخار إلى القلب الكبير الحنون والذي أرجو من الله أن يمده في عمره الوالد العزيز حفضه الله.

وإلى إخوتي سندي في الحياة حفظهم الله ورعاهم

وإلى الأهل والأقارب والأحباب وإلى الأستاذ شلالي ضيف الله حفظه الله وإلى كل من علمني حرف في مسيرتي الدراسية.

العربي براك

الإهداء:

أهدي ثمرة هذا العلم إلى الذين علماني وتحملا الصعاب لأصل إلى ما أنا عليه،

إلى الذين لم يبخلا علي بدعائهما الكريمين حفظهما الله ورعاهما وأطال في عمرهما ورزقهما الفردوس الأعلى، إلى أخي وأخواتي حفظهم الله،

إلى أساتذتي الكرام إلى كل من علمني حرفا من هذا العلم، إلى جميع الزملاء والأصدقاء خاصة، العربي الذي قاسم معي إنجازهذا العمل إلى العجال، علي،

إلى كافة الإخوة الذين لم تلدهم أمي

(جمال طالبي، حسين خليج، محمد بن لخضر، يعقوب عيسات، آدم باز، ربيع محمد، شعيب بوقرادة، طيب زلاق، حسام زاوي، محمد الزاوي)

إلى عمال الجامعة والإقامة ومكتبة كنوز،

وإلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد لإنجازهذا العمل.

منير رحموني

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات

المختصر	دلالته
د	دون
د ط	دون طبعة
د س	دون سنة النشر
د د	دون دار النشر
ج	جزء
ص	صفحة
ص ص	تعدد الصفحات
م	ميلادي
ه	هجري
تر	ترجمة
تق	تقديم
تح	تحقيق
ط خ و م	طبعة خاصة وزارة المجاهدين

المقدمة

يعد تاريخ الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي من أكثر الفصول التي شهدت أشكالا متعددة من المقاومة والصمود الشعبي، ولعل من أبرز تلك المحطات نجد مقاومة 1871، التي اندلعت في سياق استثنائي بعد أكثر من أربعة عقود من الاحتلال، لتكون بمثابة أكبر وأوسع مقاومة شعبية عرفتها الجزائر خلال القرن التاسع عشر بعد مقاومة الأمير عبد القادر، وقد شكلت هذه المقاومة رد فعل مباشر على سياسة الاستيطان الفرنسي ومصادرة الأراضي والتضييق على الزوايا والقيادات المحلية، إضافة إلى تداعيات المجاعة الكبرى التي ضربت البلاد في نهاية ستينات ذلك القرن. فقد قاد هذه المقاومة زعماء بارزين مثل الشيخ محمد المقراني وكذا الشيخ الحداد، واللذين كان نضالهما، بل تعبيرا عن موقف ديني ووطني ضد توغل الاستعمار، وقد أثارت هذه المقاومة ردود فعل عنيفة من طرف السلطات الفرنسية، التي تعاملت مع الثورة بوصفها تهديدا خطيرا لمشروعها الاستعماري في الجزائر، فبعد فشل المقاومة أطلقت فرنسا حملة اعتقالات وملاحقات جماعية مست جميع المشاركين أو المتعاطفين مع المقاومة، وتم الحكم على المئات بالإعدام أو السجن المؤبد، فيما تم نفي المئات من الثوار وعائلاتهم إلى مستعمرة كاليدونيا الجديدة في أقصى المحيط الهادي في محاولة لعزلهم عن محيطهم الطبيعي والسياسي، ومنعهم من التأثير مجددا في الحياة العامة بالجزائر، وقد تم هذا النفي في ظروف قاسية تميزت بغياب شروط المحاكمة العادلة، وسوء المعاملة، واستعمال النفي كأداة للانتقام والاستئصال الرمزي للمقاومة الجزائرية.

ويجدر الإشارة هنا أن بداية النفي والتهجير إلى كاليدونيا الجديدة بدأت سنة 1864م نتيجة لمقاومة سيدي الشيخ حيث تم نفي 178 مدنيا كلهم شاركوا في هذه المقاومة.

كما أن هذا النفي والتهجير لم ينتهي بنهاية مقاومة المقراني والشيخ الحداد بل تواصل حتى سنة 1916.

أما في كاليدونيا الجديدة فقد وجد المنفيون الجزائريون أنفسهم في بيئة جغرافية وثقافية غربية، حيث عانوا من ظروف معيشية صعبة، سواء من حيث الإقامة أو العمل القسري، أو التمييز في المعاملة من قبل الإدارة الاستعمارية ومع ذلك فقد تمكنوا من الحفاظ على جزء من هويتهم الثقافية والدينية، وتمسكوا بعاداتهم وتقاليدهم، وأسسوا شكلا من التعايش والتضامن فيما بينهم، رغم محاولات العزل والتنويب التي تعرضوا لها، كما شهدت هذه الجالية محاولات متفرقة للإندماج، سواء عبر الزواج المختلط أو التفاعل مع المجموعات المنفية الأخرى، ما شكل مع مرور الوقت نواة لهوية هجينة ومركبة ما بين الأصل والمنفى.

وإن دراسة هذه المحاور الثلاثة، للمقاومة الكبرى لعام 1871، وآليات الرد الفرنسي القمعي، وأوضاع المنفيين في المنفى الكاليدوني، تمكننا من فهم أعمق لطبيعة المواجهة بين الاستعمار والمجتمع الجزائري، كما تسلط الضوء على امتدادات المعاناة الجزائرية خارج الحدود الجغرافية وعلى أشكال الصمود الثقافي والروحي التي أبدأها الجزائريون في مواجهة سياسات الطمس والتفكيك.

دواعي اختيار الموضوع:

- **الشخصية:**

- الرغبة في الإطلاع على جانب آخر من وجه الإحتلال وهذا التهجير القسري في حق الجزائريين.
- أردنا إكتساب معارف ومعلومات ذات أهمية.

- **الموضوعية:**

- هدفنا معرفة ومعالجة جرائم الإحتلال الفرنسي في جزيرة كاليدونيا الجديدة وذلك بإرغام الثوار على ترك وطنهم وتعرضهم لمعاملة أشد قسوة.
- إثراء المكتبة العلمية لهذه الدراسة العلمية.

أهمية الدراسة:

- تعرفنا هذه الدراسة على مدى انتشار مقاومة المقراني والشيخ الحداد في ربوع الوطن.
- التعرف على الوجه الحقيقي للاستعمار الفرنسي وذلك من خلال العقوبات الشديدة التي سلطتها على المقاومين في هذه المقاومة.
- تفيدنا في التعرف على أبر زعماء مقاومة 1871م وما مدى شجاعتهم في مجابهة العدو.
- معرفة معاناة الجزائريين المنفيين إلى كاليدونيا الجديدةة نتيجة المعاملة السيئة لهم من طرف السلطات الفرنسية.

الإشكالية:

جاءت هذه الدراسة لمعرفة جهود المقاومين الجزائرين وذلك من خلال قيامهم بأكبر مقاومة عام 1871م، ضف إلى ذلك للكشف عن مختلف الجرائم التي مارسها الاستعمار الفرنسي بتطبيقه سياسة قمعية ضد زعماء المقاومة، إذ تمثلت في التهجير القسري لهم من خلال إبعادهم ونفيهم باتجاه مستعمرتها بكاليدونيا الجديدة بهدف التخلص نهائيا منهم.

وتتمثل إشكالية دراستنا حول: **فيما تمثلت سياسة الابعاد إلى كاليدونيا الجديدة في حق الجزائريين عقبة مقاومة 1871م؟**

وهذا ما تطلب وضع جملة من التساؤلات الفرعية:

- ماهي الأوضاع التي سبقت مقاومة المقراني والشيخ الحداد؟
- فيما تمثلت نتائج هذه المقاومة؟
- ماهي أهم العقوبات التي سلطتها السياسة الاستعمارية على الثوار؟
- كيف كانت محاكمة الفاعلين في مقاومة 1871م؟
- كيف أصبحت حياتهم في المنفى وما نتج عنها؟

الدراسات السابقة للموضوع:

من خلال إطلاعنا على هذا الموضوع وجدنا أنه حضي بالعديد من الدراسات الأكادمية:

فنجد أطروحة دكتوراه لقنزاز نعيمة تحت عنوان المنفيون الجزائريون إلى كاليدونيا الجديدة وغويانا بعدة ثورة 1871م، والتي تناولت حياة المنفيين الجزائريين داخل المنفى.

بالإضافة إلى مذكرة الماستر من إعداد الطالبتين خيرة صهاري ومريم ذيب، المعنونة بالمنفيون الجزائريون المستعمرات العقابية الفرنسية غويانا وكاليدونيا الجديدة نموذجا.

ضف إلى ذلك مذكرة الماستر ل سليمة بودخانة تحت عنوان: نفي رواد المقاومة الجزائرية إلى الخارج من 1830م إلى 1871م، والتي تناولت أوضاع بومرزاق المقراني وسي عزيز إبن الشيخ الحداد في مفاهم وأهم السبل التي اتسع كل واحد منهما من أجل العودة إلى أرض الوطن.

وكذلك نجد مذكرة الماستر ل ريسي أم هاني تحت عنوان مقاومة المقراني والحداد 1871م، وقد استفدنا كثيرا من هاتي المذكرتين فمن خلالهما تم التعرف على الأوضاع التي كانت سائدة في البلاد قبل قيام بمقاومة 1871م وأيضا في سير المقاومة وأهم محطاتها وكذا أهم نتائج هذه المقاومة.

دراسة الصديق تاوتي من خلال كتابه تحت عنوان المعبدون إلى كاليدونيا الجديدة مأساة هوية منفية، الذي ساعدنا كثيرا وخاصة في المبحث الثاني والثالث من خلال تحدثه عن كيفية ترحيل المنفين وكذلك أحوالهم معيشتهم هناك.

زيادة على ذلك كتاب بسام العسلي تحت عنوان المقراني وثورة 1871م الجزائرية والذي استفدنا منه بشكل كبير في المبحث الأول وذلك بالتعرف على مراحل المقاومة ونتائجها.

المنهج المتبع:

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي والذي يتناسب مع طبيعة الموضوع من خلال سرد الأحداث والوقائع التاريخية، ووصفها وصفا دقيقا من حيث فتراتها ومراحلها المرتبطة بمختلف المحطات التاريخية الهامة كطريقة ارحيل المقاومين الجزائرين ووضعهم داخل المنفى.

خطة المتبعة في الدراسة:

تتشكل هذه الدراسة من مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة وملاحق ذات صلة بالموضوع وقائمة المراجع المعتمدة في هذه الدراسة بالإضافة إلى فهرس (محتوى الموضوع).

فالمقدمة تناولت تمهيدا للموضوع وتعريفا له والتطرق إلى دواعي اختيارنا لهذا الموضوع، كما تناولنا فيها أهمية هذا الموضوع والإشكالية التي تم طرحها وأيضا التطرق للدراسات السابقة للموضوع مع ذكر المنهج المتبع في الدراسة، والصعوبات التي واجهتنا في انجاز هذا الموضوع.

وبخصوص المبحث الأول تحت عنوان مقاومة الشيخ الحداد والمقراني وقسم إلى ثلاث مطالب، تناول المطلب الأول مقاومة الشيخ الحداد أما المطلب الثاني فتطرق إلى مقاومة المقراني والمطلب الثالث تناول نتائج المقاومتين.

أما المبحث الثاني تحت عنوان بردود الفعل الفرنسية على مقاومة الحداد والمقراني وقسم بدوره إلى ثلاث مطالب، الأول تضمن الإجراءات الفرنسية اتجاه المقاومين، والثاني

تناول سلسلة المحكمات في حق المقاومين الجزائريين، ومطلب الثالث تطرقنا فيه إلى كيفية تهجير المقاومين الجزائريين المنفيين بكاليدونيا الجديدة.

المبحث الثالث تحت عنوان مراكز استقرار الجزائريين المنفيين بكاليدونيا الجديدة والذي تم تقسيمه إلى مطلبين، تناول المطلب الأول أوضاع وظروف الإقامة للمنفيين الجزائريين في كاليدونيا الجديدة، أما المطلب الثاني فتطرقنا فيه إلى نشاطهم على هذه الجزيرة.

أما الخاتمة فتناولنا فيها أهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها من موضوع الدراسة.

أهم الصعوبات:

- صعوبة في بلورة اشكالية دقيقة وواضحة.
- المشاكل في إدارة الوقت.

المبحث الأول: مقاومة الشيخ الحداد والمقراني

عرفت الجزائر في الفترة التي سبقت المقاومة الشعبية 1871م ظروف استثنائية لكل الجوانب وذلك جراء السياسة والأساليب الاستعمارية التي أثرت على الجزائرين هذا من جهة، إضافة إلى الكوارث الطبيعية التي حلت بالجزائر في تلك الفترة كالزلازل والجراد والتي أدت إلى تدهور حالتهم وانتشار الفقر والأمراض من جهة أخرى.

ومن خلال هذه الأوضاع المتدهورة برزت مجموعة من المقاومات الشعبية أهمها مقاومة مقراني والشيخ الحداد 1871م.

المطلب الأول: مقاومة الشيخ الحداد

1/ مولد ونسب الحداد:

تعود أصول أسرة الشيخ حداد إلى أصل جزائري، من منطقة بني منصور الواقعة يفي جبال البيبان على الضفة اليمنى لواد الساحل في مواهبة جبال جرجرة غير بعيدة من بوجليل وتازمالت على حدود البويرة حالياً، انتقل بعض أرادها إلى منطقة أت منصور في جبال أكفادو، فسكن البعض قرية تيفر القريبة من عرش أت وغليس، ونتقل البعض الآخر إلى قرية إيمولة بعرش ميسينسيا حاليا حيث امتهنوا حرفة الحدادة، وهي مهنة مهيبة الجانب وفي نفس الوقت محترمة لدى السكان وذلك للفضل الكبير التي قدمته أدوات الحدادة إلى الفلاحة، لذلك سمي بالحداد.[1]

وعندما توفي الجد الأول الذي هاجر إلى إيمولة خلف وراءه ثلاثة أبناء هاجر أكبرهم إلى قرية صدوق ببني عيدل على الضفة اليمنى لواد صومام قريباُ من بجاية أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، واستقر هناك ومارس نفس مهنة أبيه وهي الحدادة وهذا الأخير خلف بعد وفاته ولدين أحدهما يدعى علي بن مهد الحداد والد الشيخ الحداد.[2]

[1] علي بطاش، لمحة عن تاريخ منطقة القبائل حياة الشيخ الحدادة وثورة 1871، ط3، دار الأمل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص71.

[2] يحي بوعزيز، ثورة الباشاغا محمد المقراني والشيخ الحداد 1871، ط.خ.و.م، دار عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص75.

وفي قرية صدوق أوفلا[1] ولد مهد أمزيان حوالي سنة 1790م في أسرة متواضعة فأهم والده تيرفية وتعلمه دون أن يعير الأهمية لغيره من أولاده الأربعة الذين تعلموا حرفة الحدادة، ولعله كان يتوهم فيه علامات تؤهله مستقبلاً أحد عظما الأمة الجزائرية.[2]

فالشيخ الحداد شخصية ذات أبعاد دينية وتربوية، قضي حياته في التعليم والتقوى، عرف بالتربية الصلاح وعدم التباهي بمقامه، بل كان عميق الإيمان بالله شديد الثقة بنفسه، وكانت معنوياته مرتفعة رغم المرض الذي لازمه عدة سنين، كان كثير الحرص على نفسه من أية زلة أو تفريط في واجب، يؤمن بالكرامات وينكر الأباطيل والشعوذة التي تغلغلت في روح الإسلام حتى أفرغته من معانيه، فهو ما حب رسالة، المتموف مخي بالنفس النفيس لبلوغ الشهادة التامة، والتخلي عن ملاذ الدنيا.

وكرس حياته للمنفعة العامة بعيداً عن الكسب والاسترزاق وأثر بعلمه وثقافته (له عدة مؤلفات) في عدة زوايا خاصة بمنطقة القبائل. [3]

ويعد الشيخ الحداد أول من قام بالوقوف في وجه الاستعمار الفرنسي خاصة منطقة القبائل، بحيث يعتبر الزعيم الروحي للمقاومة التي ستندلع في 1871م فيما بعد.

كما كان للعامل الديني والروحي دور فعال في تكوين شخصية المجتمع الجزائري، على غرار تلك الطرق الصوفية التي تعمل على توحيد المجتمع الجزائري، ومن بين تلك الطرق نجد الطريقة[4] الرحمانية الأوسع انتشاراً في التراب الوطني ابان القرن 19م التي

---

[1] صدوق أوفلا، قرية القبال الصغرى بعرش أت عيدل، وهي ليست بعيدة عن صدوق المدينة الاستطانية، ويعمل عرش أت عيدل عن عرش ميسينسا واد صغير سمي "تاسيفيت".

[2] علي بطاش، مرجع سابق، ص74.

[3] المرجع نفسه، ص 78.

[4] هي طريقة صوفية نشأت في الجزائر على يد مؤسسها "مهد بن عبد الرحمان" وتوزعت زواياها في عدة مناطق من البلاد منها زاوية مدوق التي أسسها والد "مهد أمزيان" وفي نهاية المطاف أخذ "الشيخ الحداد" الميثاق على خليف السيد" مهد بن عبد الرحمان" وفي زاوية سيدي علي بن عيسي، وعند عودته إلى قرية مدوق تولى تسيير زاوية أبيه، وإختاره

كان لها دور بارز في مقاومة الاستعمار الفرنسي من خلال مبادئها الروحية والجهادية المعادية له، مساندة الثورات التي قادها زعماء هذه الطريقة كثورة المقران التي كان الشيخ الحداد زعيماً روحياً لها وكان لها أثر كبير في تقوية شخصية تعاذين البطلين في مواجهة الاستعمار.

كما كان أيضاً للشيخ الحداد دور كبير في مقاومة 1871م والتي ذكرناها سالفاً، ضد المستعمر الفرنسي، إذ أعلن الجهاد المقدس في سبيل الله وتحرير الوطن فنظم إلى الثورة فيما بعد.

فقد أكسب الثورة تأييداً شعبيا واسعاً منها الصمود أمام الجيوش، لكن استسلامه لقوات الجنرال سوسيه souchet في 13 جويلية 1871م، بعد مقاومة قوية من العدو الفرنسي، وقد سجن في قرية بازل في بجاية وأوفته المنية في 29 أفريل 1873م، ودفن في مقبرة قسنطينة رغم أنه أوصى أن يدفن في مقبرة أسلافه بقرية مدوق، والذي يمثل مجموعة الوصايا التي تركها الشيخ الحداد.[1]

2/ ظروف اندلاع المقاومة:

ساد الحزن في نفوس الجزائريين وأصبحوا في حيرة على مستقبلهم، ولم يجدوا الوسيلة الأنجح للتعبير عن غضبهم إلا المقاومة التي اندلعت سنة 1871م بزعامة الحداد والمقراني، رغم أن ظهور بوادرها تعود إلى أواخر عام 1870م.

أهله لأن يكون إماماً على القرية، وأصبح بعد ذلك خليفة لطريقة "محمد بن عبد الرحمان" أنظر: بشير بلاح تاريخ الجزائر المعاصر"1830_1989، ج1، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص202.

[1] عادل نويهض، معجم إعلام الجزائر من صدر الإسلام في العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض، بيروت لبنان، 1980، ص120.

باندلاع حركة ابن خدومة[1] في منطقة سور الغزلان التي امتدت إلى جبال جرجرة وحوض الصومام ثم في بداية جانفي تمرد جنود الصبايحية بالطارف قرب القالة ومجبر وعن قطار بمنطقة سوق أهراس الذين رفضوا الذهاب للمشاركة في حرب فرنسا ضد ألمانيا، ونضم إليهم محمد الكبلوتي بن طاهر رزقي[2] والكثير من قبيلة الحنانشة وأخذوا يشنون الغارات على الفرنسيين بين القالة شمالاً وتبسة جنوباً، أحرقوا مزارع المعمرين وهاجموا مدينة سوق أهراس أواخر شهر جانفي 1871م.[3]

بالإضافة إلى تدهور الأوضاع داخل الجزائر في شتى الميادين (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية...) والتي كانت بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس وعجلت من اندلاع هذه المقاومة والوقوف ضد القوات الفرنسية ومحاولة إرعابها ودخطها.[4]

كما كان لعملية التهجير التي مارستها الإمبراطورية الفرنسية الثانية داخل الجزائر أنذاك من أوروبيين وفرنسيين وقعها الخاص على نفوس الجزائريين لأنها أصبحت تشكل خطراً على ممتلكاتهم الخاصة أراضيهم الخاصة، كل هذا كان له هدف واضح للإدارة الفرنسية ألا وهو تشجيع الاستيطان الاستعماري في الجزائر.[5]

بالإضافة أيضا لتأزم الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بسبب الكوارث التي عرفت الجزائر، وعهد الإمبراطورية القرية الشافية بالضبط بين سنتي 1863_1869(جفاف،

---

[1] بن خدومة: وهو أبو بكر بن خدومة، جاء من منطقة غليزان، واستقر بسور الغزلان وانتشر نفوذه بجرجرة ألقي القبض عليه في أوائل أفريل 1871م ونفاه الفرنسيون مع عدد من أتباعه إلى جزيرة سان مرقوريت، أنظر علي بطاش، مرجع سابق، ص 140.

[2] الكبلوتي: من قبيلة الحنانشة التي تقطن جبال الأوراس، حماتونس سنة 1975م التجأ إلى بغداد يتوفى بفاك عام 1884م، أنظر علي بطاش، المرجع السابق، ص 140.

[3] نفسه، ص140.

[4] حياة تابتي، دور الطريقة الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي مقاومة المقراني والحداد (1871)، "مجلة تاريخ المغرب العربي"، العدد02، مخبر الوحدة المغاربة عبر التاريخ أبي بكر بالقايد، تلمسان، ديسمبر2022، ص26.

[5] المرجع نفسه، ص27.

جراد، زلزال...)، فأكل الناس جذور الحشائش وأوراق الشجر والكلاب...والكثير منهم كانوا يعتدون على المستوطنين ليسجنوا عمداً من أجل لقمة العيش يقتاتون بها في قبضان الحديد، وعلى إثر هذه التداعيات.

انتشرت الأمراض والأوبئة التي بدأت تنخر المجتمع الجزائري وتضعفه أكثر فأكثر.[1]

أيضا نجد أن مشكلة الديون التي اقترضها الباشاغا من بنك الجزائر من بين أبرز الظروف التي عهدت لهذه المقاومة، لأنه لم يكن له حل أخر لتسديد هذه الديون التي أثقلت كاهله، والتي كان لابد له من اقتراض تلك الديون وذلك للتصدي للمجاعة التي ضربت الجزائر في 1869م ومساعدة المنكوبين.

أيضا المعاناة الكبيرة التي تعرض لها الشيخ الحداد وحتى الشيخ المقراني من طرف عائلته ومن طرف السلطة الغربية خصوصا أن هذه الأخيرة قد تحالفت مع اليهود وهذا من أجلي خداع هاذين الأخيرين وتدميرهم خاصةً نفسياً.[2]

قانون كريميو[3] في 24 أكتوبر 1870م الذي منح اليهود حقوق المواطنين الأصليين دون أن يمنح أي شيء للمسلمين، بالإضافة إلى إلغاء النظام العسكري وتعويضه بالنظام المدني ما أدى إلى عدم استقرار الولاة.

---

[1] علي بطاش، المرجع السابق، ص141.

[2] هلايلي حنيفي، الظروف التاريخية المهددة لثورة المقراني والشيخ الحداد ونتائجها على السياسة الاستعمارية، العدد08، جامعة سيدي بلعباس، ص15.

[3] كريميو: هو يهودي ينوب عن الجزائر في لجنة الدفاع الوطني، واغتنم تلك الفرصة فاست قانوناً فرنسياً يعتبر اليهود الجزائريين الساكنين فس أراض شمال إفريقيا، الخاضعة للدعم المدني، مواطنين فرنسيين، وسمي ذلك بقانون كريميو 24 أكتوبر 1870م، وكان اليهود الذي شملهم هذا القرار حوالي 30.000 ، أنظر: محمد ناصر المقالة الصحفية الجزائرية (نشأتها، تطورها، أعمالها) من 1903 إلى 1931، المجلد الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص367.

أيضاً سعي الكنيسة المسيحية لتمسيح الأطفال اليتامى إثر المجاعة والإهانة لمقدساتهم الدينية، وتجنيد المسلمين لصالح فرنسا ضد ألمانيا في حرب1870...إلخ.[1]

كل هذه الظروف كانت بمثابة الصاعقة التي سقطت على فرنسا والتي عجلت من اندلاع مقاومة حامية الوقوف في وجه القرارات الفرنسية المغتصبة لأراضي الجزائريين، والتي أدت إلى تطور وتسارع الأحداث فيما بعد التي سنذكرها في العنصر التالي.

3/ تطور مقاومة الشيخ الحداد:

إن الأحداث والتطورات التي توقعت مع بداية التسعينيات من القرن التاسع عشر صحبتها دعاية دينية وطنية ثورية، قام بها "الشيخ الحداد" الذي كان طاعناً في السن ينتمي إلى عائلة الحدادين، وكان قد أصبح زعيما للطريقة الرحمانية[2]، حيث أعلن "الشيخ الحداد" الجهاد بعد ما ألح عليه ابنه "سي عزيز"، ونادي الشعب، قائلاً "إن يوم خلاص قد حان"، هكذا راجت فكرة الجهاد بين أواساط السكان ضد الفرنسيين، حيث شملت المساجد والأسواق والمقاهي والأماكن العامة، بفضل نشاط أتباع الشيخ الحداد وخلال بضعة أسابيع ساهمت جهة القبائل وحدها بمائة وخمسين ألف رجل.[3] ويجدر الإشارة هنا، أن اندفاع الرحمانيين للمقاومة لم يكن بسبب العاطفة، كما يصفها الكُتَاب الفرنسيون، إنما لأسباب اقتصادية واجتماعية وجاء العامل الديني ليدعمها.[4]

---

[1] حياة تابتي، المرجع السابق، ص27.

[2] الطريقة الرحمانية: هي طريقة صوفية نشأت في الجزائر على يد مؤسسها "محمد بن عبد الرحمان" وتوزعت زواياها في عدة مناطق من البلاد، منها زاوية مدوق تولى تسيير زاوية أبيه، واختاره أهله لكي يكون إماماً على القرية أصبح بعد ذلك خليفة للطريقة "محمد بن عبد الرحمان"، أنظر: بشير بلاح، المرجع السابق، ص202.

[3] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء لتاريخ الجزائر، جزء 01، ط02، الجزائر، 1987، ص 29.

[4] حياة تابتي، المرجع السابق، ص29.

خاصة تلك المساندة الكبيرة التي قام بها الشيخ الحداد للمقراني في الوقت الذي تعرضت فيه منطقة بجاية والإخوان الرحمانيين لضغوطات ومضايقات واعتقالات من طرف الإدارة وقادة الجيش الفرنسي، بالإضافة إلى الظلم المسلط تجاه الأهالي، كل هذا كان له دور فعال في لم الشمل بين هذين القائدين وبالتالي زيادة قوة وتوهج هذه المقاومة وإعطائها تناسق وانسجام أكثر لتكون منطقة يصعب اختراقها.[1]

وبالرغم من إعلان الشيخ الحداد للجهاد في 8 أفريل 1871م، إلا أنه لم يكن يميل إلى المقاومة لولا قيام ابنيه "الشيخ مهد"[2] و"الشيخ سي عزيز"[3] بإقناعه بها، بحيث كان على عكسه يميلان إلى المقاومة ويتحمان إلى الجهاد، غير أن هذا الدور الفعال الذي لعبه "الشيخ الحداد" في مقاومة المقراني، والذي صار من خلاله هو الزعيم الروحي لهذه المقاومة لم يخطط له بمفرده، بل كان بالتنسيق مع الباشاغا المقراني "هذا الأخير الذي قام بعده محاولا لاستمالة الشيخ الحداد بعد ما فشل في استمالة رؤساء العائلات الأرستقراطية إليه لكنه تمكن من ضم الشيخ الحداد وأتباعه إليه،[4] فعوض بذلك كل ما فقده في الآخرين من تأييد نظراً للنفوذ الواسع الذي كان له على سكان جبال:(جرجرة والبابور والبيان وحوض واد الصومام ووادي الساحل). لكن القائد العسكري للمقاومة هو الباشاغا المقراني الذي أعد نفسه جيداً لهذا الدور منذ وقت طويل، حيث كان يراقب التطورات في أوروبا والجزائر باهتمام كبير.[5]

---

[1] علي بطاش، المرجع السابق، ص152.

[2] الشيخ محمد: هو الأكبر ذو طابع تقشفي وصارم وكانت تبدو عليه سمات الاندفاع والشغف بالدين، وكان رفيقاً حميماً لبوبعله، هاجم أغريب ابن علي شريف وخوله سنة 1851م، علي بطاش، المرجع السابق، ص152.

[3] الشيخ العزيز: مختلف عن الشيخ محمد جسماً وروحاً، إذ هذا الأخير كان مرحان وله خيال خصبي وقد نال شعبية كبيرة عند الأهالي وله طموحات سياسية لهذا منح منصب قائد على المؤسسة ليستقيل بعد بضعة أشهر فقط سنة 1869م، المرجع السابق، ص152.

[4] يحي بوعزيز، موقف العائلات الأرستقراطية من الباشاغا مهد المقراني وثورته عام 1871، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1994، ص15.

[5] سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ص15.

كما كان لهزيمة فرنسا على يد البروسين من بين الأحداث التي صعدت حدة الصراع في تطور المقاومة وكسر شوكة المستعمر الفرنسي التي كانت تخيف الجزائريين وترعبهم خاصة بعد سحق البروسين للجيش الإمبراطوري الفرنسي وهزمهم في المعركة سيدان الشهيرة التي دامت ثمانية وعشرين يوما فقط والتي عجلت في سقوط فرنسا واستسلامها.[1]

كل ذلك كان له الأثر البالغ على الجزائريين حيث تمثل في ابتهاجهم وفرحهم وبدأ أمل الجزائريين الذين ذاقوا مرارة الاحتلال والعبودية يقوى في استعادة استقلالهم المفقود وإيمانهم بالله وثقتهم في المستقبل وإرادتهم في الحصول على السلاح يتأكد يوماً بعد يوم من أجل تفجير المقاومة المباركة ومحاولة إخراج فرنسا من المناطق التي كانت تحت سيطرتها.[2]

المدة القصير لقيادة المقراني (15 مارس إلى 5 ماي) كانت خطوة لاندلاع الثورة التي تعممّت وانتشرت بفضل نداء الشيخ الحداد الذي أعطى لها نفساً جديداً وصبغة وطنية لطرد الاستعمار واستعادة أكبر مساحة ممكنة من التراب الوطني كما أكسب الثورة روحاً شعبية.[3]

هذا ما حدث عندما حقق الثوار عدة انتصارات في عدة مناطق أرغمت المعمرين والعسكر الفرنسي اللجوء إلى المدن الكبرى كسطيف، باتنة، بجاية جيجل شرشال. وبالتالي تجاوزت المقاومة نفوذ الرحمانية إذ لم تمضي أيام قليلة حتى تطوع أكثر من مائة وعشرين ألف ثائر أعطوا دفعا جديداً، وشملت الثورة عدة مناطق من الوطن وانتشرت في جبال البابور والبيبان وبوطالب وجرجرة وحوض الصومام وتوغمة و الحضنة وجبال الأوراس.[4]

---

[1] علي بطاش، المرجع السابق، ص154.

[2] يحي بوعزيز، موقف العائلات ...، المرجع السابق، ص244.

[3] علي بطاش، المرجع السابق، ص155.

[4] يحي بوعزيز، موقف العائلات ...، المرجع السابق، ص244.

وأمام كل هذا الأخذ والرد والانتصارات التي حققها أتباع الشيخ الحداد إلا أنها لم تكن كافية لكسر ظهر القوات الفرنسية وطردها بعيداً من أراضيها إذ نجد فيما بعد أن المقاومة التي بدأت جد متماسكة للمقاومين بدأت تدخل في النفق المظلم فيما بعد.

خاصة بعد مقتل الباشاغا المقراني الذي ترك فرغاً في جبهة المقاومة نظراً للمكانة التي كان يتمتع بها سواءً عند الخصوم والأصدقاء، وحاولوا أتباعه أن يملأ هذا الفراغ، وواصلوا المعركة بعزم قوي وجعلوها تطول إلى غاية أوائل 1872.

ولكن استسلام أفراد عائلة الحداد في جويلية 1871م، ثم لحاق العديد من القادة المهمين بهم مثل نكسة كبيرة لمسار المقاومة، ورغم ذلك صمم البعض منهم على المواصلة القتال وخاضوا معارك كبيرة في شهري أوت وسبتمبر 1871م متنقلين بين بني عباس والحضنة، ولكن تضييق الخناق عليهم دافع المقرانيين إلى الانتقال إلى الصحراء لطلب المساعدة والعون من إخوانهم في تلك المنطقة، وهنا أصبحوا في حالة فرار من مطاردة القوات الفرنسية لهم.[1]

واضطرت الظروف الشيخ العزيز وعائلة أوقاسي(على. مهد أمقران، مهد لونبس) إلى الاستسلام إلى الجنرال لالمان بمعسكر أت هشام بضواحي عين الحمام بعد أن تأكد للجميع العجز عن المواجهة، وبعد يومين فقط تم إلقاء القبض على مهد بن الشيخ الحداد على يد السعيد أورابح قرب بجاية، أما الشيخ الحداد فاعتقله الجنرال بوش في 13 جويلية كما ذكرناه سالفاً في التعريف بمولد ونسب الشيخ الحداد، وكانت علامات الإرهاق بادية على وجهه نظراً لكبر سنه والوضع المتردي الذي وصلت إليه المقاومة.[2] وعند إخراجه

[1] يحي بوعزيز، موقف العائلات ...، المرجع السابق، ص ص 284_307.

[2] علي بطاش، المرجع السابق، ص157.

من بيته كتب على حجر موان أية قرآنية هي: " أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الذينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ"

المطلب الثاني: مقاومة الشيخ محمد المقراني

1/ ظروف وأسباب اندلاع المقاومة:

لقد تظافرت مجموعة من الأسباب نتيجة لظروف متدهورة أدت إلى اندلاع مقاومة المقراني 1870، وهذه العوامل كانت مرتبطة بأوضاع الجزائر تلك الفترة وكذلك علاقة محمد المقراني بالإدارة الاستعمارية.

وعليه نجد هناك ظروف وعوامل داخلية وأخرى خارجية ساهمت في تفجير هذه المقاومة.

أ/ الظروف والعوامل الداخلية:

_سياسة فرق تسد:

اعتبرت هذه السياسة التي غذت روح الفتنة بين الأهالي حيث عملت الإدارة الاستعمارية الفرنسية على الاستفادة من العلاقة المتوترة بين الباشاغا[1] محمد المقراني[2]

[1] الباشاغا: هو حاكم دائرة واسعة، وله سلطات قوية، وهو من الألقاب التركية، أنظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1860م_1900م، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت،2000م، ص103.

[2] محمد المقراني: ولد بين 1810م_1820 بمنطقة مجانة ولاية برج بوعريريج من أسرة كبيرة والد محمد المقراني خليفة على منطقة مجانة وفي 1853 توفي والده، وعينت السلطات الفرنسية ابنه محمد المقراني باشاغا على مجانة، أنظر: آسيا تميم، الشخصيات الجزائرية 100 شخصية، دط، دار المسك للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص48.

وأبناء عمومته وتوظيفها في مشروعها الاستعماري والمتمثل في سياسة فرق تسد[1]، حيث حاول العقيد بونافالي (poonavalli) الإيقاع بالباشاغا وبين ابن عمه محمد بن عبد السلام لتجد السلطات الفرنسية مبرراً للتخلص من عائلة المقراني.[2]

_ المضايقات المستمرة للباشاغا والتقليص من امتيازاته:

انتهجت الإدارة الفرنسية سياسة استعمارية خاصة ضد عائلة المقراني، وبالأخص الباشاغا المقراني كانت كافية لإعلان المقاومة، فقد ضايقته لمدة تجوزت سبعة عشرة عاماً.

والحقيقة إن هذه السياسة قد أثرت عليه مادياً ومعنوياً[3]، فمنذ عام 1853م بدأ التقليص من سلطته وامتيازاته، فقد انتزعت منه صلاحيات اقتراح الشيوخ والقيادة لتصبح من اختصاص ضباط المكاتب العربية، واتهمت أسرة أولاد المقران على أنها تعرقل تطول الإدارة الاستعمارية، كذلك لاحظ مكتب البرج أن الباشاغا محمد المقراني رجل خطير فتم تجريده من الامتيازات التي ورثها عن والده وخصص له راتب سنوي يقدر ب10.000 فرنكاً، مما جعل منه موظفاً لا يتمتع بحرية التصرف.

[1] مريم بلحاج، مهجري ثورة المقراني إلى كاليدونيا الجديدة، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة المسيلة، الجزائر، 2015_2016م، ص60.

[2] يحي بوعزيز، ثورات الجزائر القرنيين 19 و20، ط. خ. و . م، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص235.

[3] أم هاني دريسي، مقاومة المقراني 1871م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ (تاريخ حديث ومعاصر)، جامعة غرداية، الجزائر، 2017_2018م، ص37.

هكذا بدأت وضعية الأسرة تتعقد وتتأزم بعد ما أجبر محمد المقراني على دفع الضرائب التي لم تكن مفروضة عليه[1]، وإلى جانب ذلك فقد عملت السلطات الفرنسية على إذلاله: من خلال وضعه سنة 1860 تحت رقابة الضابط مارمي (marme) أقل منه شأناً.[2]

وفي عام 1864م اتهم بالتواطئ مع أولاد ماضي بدخولهم ثورة أولاد سيدي الشيخ وبهذا كانت ثورة 1864م إحدى العوامل لتقديم استقالته ولكنها رفضت.

وفي 09 مارس 1871م، جدد الباشاغا استقالته وقدمها للجنرال الالمان

(Lallemand) غير أن المفتش الإداري الجديد لعمالة قسنطينة الجنرال روستان (Rustant) تحدّاه وطلب منه أن يجدد استقالته كتابياً، واعتباره مسؤولاً عن كل ما يحدث في ربوع قيادته ويتحمل كل المسؤوليات إلى غاية رد الإدارة الفرنسية على طلبه بالرفض أو القبول، وعلى إثر تلقيه هذا الجواب اتصل الباشاغا بأقربائه وأخبرهم أن الوقت قد حان لإعلان الجهاد.[3]

_ النشاط التبشيري في المنطقة:

لم يكن هدف الاستعمار الفرنسي بسط هيمنته على الجزائر وجعلها إقليما فرنسيا فحسب وإنما كان يهدف كذلك إلى غزو الأفكار ونشر الدين المسيحي، فإذا كانت منظمة غزو الأرض من اختصاص المؤسسات العسكري، فإن مهمة غزو الفكر من اختصاص الكنيسة.[4]

---

[1] هالة فرحاتي، مقاومة المقراني والحداد 1871م، مذكرة لنيل شهادة الماستر التاريخ، تاريخ معاصر، جامعة بسكرة، 2014_2015، ص47.

[2] يحي بوعزيز، ثورات الجزائر....، المرجع السابق، ص234.

[3] أم هاني دريسي، المرجع السابق، ص ص 47_48.

[4] العياشي روابحي، أسرة المقراني وعلاقتها بالإدارة الاستعمارية 1837_1871م، رسالة لنيل الماجيستر في التاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة،2007_2008م، ص120.

وفي هذا الإطار استغلت الكنيسة الظروف التي مرت بها الجزائر خلال سنوات من القرن التاسع عشر ميلادي، فقد حاولت إحياء أمجاد وذكريات القديس أوغسطين[1] Augujtin (Saint) وما أثر الإمبراطورية الرومانية[2].

فقد تزعم حركة التبشير الديني في الجزائر الكاردنال لافيجري[3] (Larigerie)، الذي أنشأ هيئة دينية عرفت بالآباء البيض واتخذ لا فيجري من الجزائر العاصمة مقراً له، وصرح قائلاً "علينا أن نجعل من الأراضي الجزائرية مهداً لدولة مسيحية تضاء أرجاءها بنور مدينة منبع وحيها الإنجيل، تلك هي رسالتنا الإلهية".

وفي سبيل تجسيد هذا المشروع، قام لافيجري بزيارة المناطق المتضررة حاملاً الطيب بيمينه والخبز والدواء من شماله وتمكن من جمع الأطفال اليتامى وتعهدهم بالتربية في أحضان المسيحية وفقاً لتعاليمها الدينية.[4]

ومن أجل تبرير ما يقوم به فقد تحجج أن هؤلاء الأطفال فقدوا آبائهم ولم يجدوا من يرعاهم في تلك الظروف المأسوية.[5]

---

[1] القديس أوغسطين، ولد بسوق أهراس سنة 355م، كان أسقفاً مدينة بونة (عنابة)، من كتبه مدينة الله، توفي سنة 430م، أنظر: محمد عيساوي، نبيل شريخي، الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري (1830_1871م)، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011م، ص12.

[2] الطاهر أوصديق، ثورة 1817م، تر: جباح مسعود، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دس، ص14.

[3] لافيجري، من مولد عام 1825مفي بايون بفرنسا، اهتم بالنشاط الكنيسي منذ نعومة أظافره_ انتقل إلى بلاد الشام وتعلم اللغة العربية وعادات المجتمع الجزائري ثم عاد إلى فرنسا، مارس عدة وظائف دينية، انتقل إلى الجزائر خلال سنوات القحط والمجاعة، لم يكن لافيجري يحمل مشروعاً دينياً فحسب بل كانت له أراء سياسية جريئة، أنظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية ...، المرجع السابق، ص ص 404 _406.

[4] أم هاني دريسي، المرجع السابق، ص39.

[5] العياشي روابحي، المرجع السابق، ص141.

وبهذه الطريقة جمع 1753 طفلاً يتيماً تتراوح أعمارهم ما بين ثماني وعشر سنوات، وقد توفي منهم 800 طفل من جراء الأوبئة.[1]

وعليه كان لافيجري يريد أن يعلي من شأن الصليب ولو على حساب الآم الجزائريين أو إلى طردهم من هذه البلاد.[2]

وبالطبع فإن المقراني قد تألم لذلك وزادت أحقاده ضد الإدارة الفرنسية التي تهدف إلى تمسيح وتنصير كل الشعب الجزائري.[3]

ومن خلال هذا النشاط الديني التبشيري الذي مارسته الكنيسة يعتبر عامل من عوامل اندلاع مقاومة المقراني 1871م.

_تداعيات قانون كريميو 1870م:

ولما تولى كريميو أدولف (CREMIEUX ADDLPHE) وزارة العدل قام بإصدار مرسوم 24 أكتوبر 1870م والذي يقضي بمنح الجنسية الفرنسية لليهود[4] الجزائر بصورة جماعية، وإلغاء العمل بالمكاتب العربية التي كان يرأسها الضباط الفرنسيون، بالإضافة إلى إلغاء النظام العسكري وتعويضه بالنظام المدني.[5]

---

[1] هالة فرحاتي، المرجع السابق، ص50.

[2] محمد عيساوي وآخرون، المرجع السابق، ص154.

[3] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 234.

[4] كوثر هاشمي، المقاومة الشعبية في الجزائر 1830_1871، مقاومة المقراني نموذجاً، "مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية"، الجلد7، العدد 2، جامعة 08 ماي 1945م قالمة، الجزائر، 2023، ص03.

[5] يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، ط.خ.و.م، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص243.

وقد رأى كريميو من هذا مشروع الحلم الذي تحقق إذ أن تجنيس هذا العدد من اليهود حسب رأيه يعتبر مكسب لفرنسا، يمكنها تعويض خسائر فرنسا في حربها ضد الألمان وذلك على الرغم من معارضة المعمرين والجزائريين له والمطالبة بإلغائه.[1]

وعليه فقد منح هذا القانون حقوق للمواطنين الأصليين دون أن يمنح أي شيء للمسلمين.[2]

وقد نظر المقراني إلى هذا القانون بأنه يمكن ويشجع الأوروبيين أكثر في التحكم في رقاب الشعب الجزائري وبذلك عقب المقراني عن هذا القانون بقوله "لن أطيع يهودياً على الإطلاق..... ولن أرضى إطلاقاً أن أخضع ليهودي.أقبل أن أطيع جندياً.ولكن لا أنحني أمام يهودي".[3]

_الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:

اجتياح كوارث كبرى للبلاد، تمثلت في زحف الجراد (1864، 1866، 1870)، والجفاف (1866)، وزلزال التي ضربت العديد من المنطق في البلاد، والحمى الصفراء (Typhua) (1867_1868)، وقضت على مئات الأفراد مرضاً وجوعاً، وأهلكت جانباً كبيراً من الدورات الحيوانية.[4]

[1] كوثر الهاشمي، المرجع السابق، ص03.

[2] حياة تابتي، دور الطريقة الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي مقاومة المقراني والحداد 1871م أنموذجاً، "مجلة تاريخ المغرب العربي"، المجلد8، العدد2، جامعة أبي بكر بلقايد(تلمسان)، 2022م، ص27.

[3] بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830_1989، ج1،دط، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص294.

[4] المرجع السابق، ص295.

كما أن مجاعة 1867 كان لها أثر كبير على الجزائريين وخاصة على القادة الذين فشلوا في إيجاد الحلول المناسبة للتقليل من تلك الأضرار التي كلفتها منها ضعف الفلاحي في البلاد وخاصة منطقة المقراني التي تعرضت لهجمات متكررة للجراد.[1]

زيادة على ذلك نجد الأوبئة والمجاعات التي حلت بالجزائريين حيث انتشرت العديد من الأمراض كمرض الكوليرا والتيفوس، هذه الأمراض التي انتشرت في البلاد عن طريق المسافرين الأجانب نأخذ الجزائريين يموتون جماعات فكان الاستعمار لا يحرك ساكناً سوى الزيادة في تقتيلهم وتدميرهم اقتصادياً واجتماعياً.[2]

وكنتيجة لهذه الكوارث عرف سكان الجزائر تناقضاً كبيراً، والسبب الأكبر في هذا التناقض السياسة الفرنسية التعسفية المنتهجة ضدهم التي تزداد يوماً بعد يوم.[3]

وهذه الحالة الاقتصادية والاجتماعية المشهورة والمزرية هيئتهم لتفجير الثورة.[4]

_ عجز المقراني عن تسديد الديون:

مشكلة الديون التي اقترضها الباشاغا من بنك الجزائر، ومن الثري اليهودي "مسرين" على إثر أزمة المجاعة الحاد عام 1869م لمساعدة المعوزين والفلاحين الجزائريين، فقد تعهد حاكم العام ماكماهون (MacMahin) على تسديدها عليه من ضرائب سكان المنطقة إذ ما عجز المدنيون عن أداء ديونهم، وهذا التعهد هو الذي شجع المقراني على إمضاء

[1] كوثر هاشمي، المرجع السابق، ص07.

[2] يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، د.ط، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص353.

[3] العياشي روابحي، المرجع السابق، ص160.

[4] صالح فركوس، تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي (المقاومة المسلحة 1830_1862م)، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، ص250.

وصلات باسمه لبنك الجزائري، وللسماسرة اليهود، ولكن السلطة المدنية الجديدة التي خلفت النظام العسكري بعد رحيل ماكماهون رفضت الوفاء بهذا التعهد وتنكرت له.[1]

في حين نجد الباشاغا المقراني قد أخرج كل ما عنده من حبوب ونقود لمساعدة الجزائريين المعوزين في ظل غياب عدم التكفل الإدارة الفرنسية بهم، وارتفع ديونه التي اقترضها إلى مليون فرنك.[2]

وهنا وجد المقراني نفسه في أزمة مالية، فاضطر إلى رهن كل أملاكه لدفع الديون التي عليه.[3]

ومن خلال هذا الوضع الذي وقع فيه المقراني أنه تعلم الدرس الأول من سياسة هذه السلطة المدنية الجديدة وتأكد أن الشعب الجزائري كله سيكون، مصيره على غرار هذا المثل، ضحية للسياسة الجديدة المنتهجة، وهذا ما يبرر في نفسه ضرورة الإعداد للثورة والإقدام عليها كوسيلة للتخلص من مصدر هذه المشاكل.[4]

ب/ العوامل الخارجية:

ولقد ساهمت مجموعة من الظروف والعوامل الخارجية في انلاع هذه المقاومة.

_استغلال المقراني فرصة الحرب السبعينية في القيام بالمقاومة 1871:

[1] يحي بوعزيز، ثورة الباشاغا ...، المرجع السابق، ص103.

[2] كوثر هاشمي، المرجع السابق، ص07.

[3] فاطمة حناني، حميدة زيتوني، المقاومات الشعبية من خلال كتابات يحي بوعزيز، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، التاريخ المعاصر، جامعة عمار تليجي الأغواط، 2015_2016م، ص65.

[4] العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن 19م، دار المعرفة، الجزائر، 2006م، ص228.

شهدت فرنسا هزيمة قاسية في الحرب السبعينية أمام بروسيا(1870_1871م)[1]، أدت إلى سقوط الإمبراطورية الثانية للإمبراطورية نابليون الثالث في 02 سبتمبر 1870 وفي 04 سبتمبر 1870 تم الإعلان عن الجمهورية الفرنسية الثانية في باريس.[2]

وكان لهذه الهزيمة أثرها الاقتصادي والنفسي على الفرنسيين، وترتبت انعكاسات على مختلف مستعمراتها، وكانت الجزائر من هؤلاء المستعمرات[3]، بحيث غاب الاستقرار السياسي والإداري الذي طال الإدارة الفرنسية بعد إعلان الجمهورية الثالثة، وتزامن هذا الوضع مع أزمة اقتصادية خانقة عان منها الفرنسيين بسبب الحرب.[4]

وعلى إثر هذا الوضع لجأت السلطات إلى فرض ضرائب إضافية على الجزائريين لتعويض الخسائر الناجمة عن الحرب وهذا ما زاد من غضب السكان المحليين إضافة إلى هذا قامت أيضا بتجنيدهم للقتال إلى جانبها في حربها ضد الألمان وتقديمهم طعم للمدافع البروسية في مقدمة الصفوف، وهلك منها 15000 في معارك ويكسمبورغ، وورث غايشوفن، الألزاس واللورين.[5]

---

[1] وحشية إلهام منصور، سعاد بولكباش، التعبئة الشعبية في المقاومات المسلحة الوطنية المقراني نموذجاً، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ، تاريخ المقاومة والحركة الوطنية، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2019_2020م، ص39.

[2] جمال ورتي، مواقف الجزائريين من الحرب البروسية_ الفرنسية 1870_1871م، انتفاضة صبايحية عين قطار نموذجاً، المركز الجامعي سوق أهراس، ص ص 73_74.

[3] جمعة عثماني، محي الدين الجزائري وثورة المقراني والرحمانيين (1870_1871م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ، تاريخ الوطن العربي المعاصر، جامعة بسكرة، الجزائر، 2018_2019، ص10.

[4] خيرة زرقين، عبد الحميد زرقين، انعكاسات الحرب البروسية على الجزائر (1870_1900م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ، تاريخ معاصر وحديث، جامعة الجلفة، 2013_2014م)، ص22.

[5] بشير بلاح، الرجع السابق، ص294.

فكانت هزيمة فرنسا أمام الألمان في حرب السبعينات التي رأى فيها الشعبي الجزائري تلك الفرصة الثمينة التي ينتظرها وخاصة المقراني الذي اعتبر هذه الخسارة التي منيت بها فرنسا في هذه الحرب حافزاً له لحمل السلاح وإعلان مقاومته للاستعمار.[1]

_ محاولة محي الدين ابن الأمير عبد القادر في تجديد المقاومة من جديد خاصة في الجزائر:

كان محي الدين يعيش بالمنفى بدمشق مع أبيه الأمير عبد القادر، كان يمارس نشاطه بصفة عادية إلى غاية 1870م وهي السنة التي أبدى فيها محي الدين رغبته في الرجوع إلى وطنه الجزائر من أجل مواجهة الاستعمار الفرنسي.[2]

ولمّا اندلعت الحرب البروسية الفرنسية رأى فرصة لتخليص الجزائر من الاستعمار[3]، فغادر الإسكندرية متوجهاً إلى تونس أواخر شهر أكتوبر 1870[4]، حتى وصل إلى جنوب تونس وهناك التفت عدد كبير من اللاجئين الجزائريين من بينهم بن ناصر بن شهرة، في هذه المنطقة أين قام بتحفيزهم من أجل مجابهة العدو، وخاصة أن الفرنسيين دخلو في حرب مع البروسين في أوروبا.[5]

وكان يطمح في الحصول على المساندة والدعم من التونسيين ولكن لم يستفد منذلك لأنهم كانوا منشغلين بشؤون داخلية فحسب.[6]

---

[1] عبد الله شريط، محمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، ط1، مكتبة البحث للنشر والتوزيع، الجزائر، 1965م، ص209.

[2] يسمينة لعزازي، المقاومات الشعبية في الجزائر 1830_1871م مقاومة المقراني 1871م نموذج، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ، التاريخ الحديث (1453_1881م)، جامعة البويرة، 2016_2017م، ص52.

[3] أم هاني دريسي، المرجع السابق، ص54.

[4] بسام العسلي، المرجع السابق، ص353.

[5] العياشي روابحي، المرجع السابق، ص353.

[6] العربي منور، المرجع السابق، ص226.

كما وجه رسائل عديدة إلى القادة في الجزائر تدعوهم للجهاد ومن بينهم المقراني وقد استعمل محي الدين توقيع أبيه في هذه الرسائل وهذا ما جعل الفرنسيون يشتكون للأمير عبد القادر من تصرفات ابنه ونشاطه، وعلى إثر هذا قام الأمير عبد القادر على تحذير ابنه ومخاصمته وطلب منه التوقف عن هذه التصرفات كما اضطر أيضا إلى بعث رسائل إلى السلطات الفرنسية يتنكر ما يقوم به ابنه.[1]

ولم تكن المصالح الفرنسية نائمة بل قامت بتجنيد كل الوسائل من أجل إيقاف هذه الحركة، وزيادة على ذلك ضغطت على السلطات التونسية وبالتالي قامت هذه الأخير بإصدار أمر بإلقاء القبض على محي الدين. ورغم كل هذه المضايقات وصل محي الدين نشاطه حتى وصل إلى تبسة بالشرق الجزائري وبتاريخ 26 مارس واجه مع رفقائه معركة ضد الجنرال (Beauget) وكانت التشكيلة الفرنسية أقوى منه عدداً وعدّة فكانت الانتصارات من نصيب القوات الفرنسية. وهنا أجبر محي الدين على الانسحاب مع رفقائه إلى تونس ومنها إلى منفاه.[2]

وفي الأخير نقول تعد هذه المحاولة من أبرز جهود الأمير محي الدين في مقاومة الاستعمار الفرنسي، وتظهر التزامه العميق بقضية تحرير الجزائر، ورغم التحديات والصعوبات.

_دور العثمانيين:

[1] بسام العسلي، محمد المقراني وثورة 1871 الجزائرية، دار النفائس، بيروت، لبنان، ص95.

[2] الصديق تاوتي، المبعدون إلى كاليدونيا الجديدة مأساة هوية منفية، ط1، دار الأمة للطباعة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص56.

كانت الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر دخلت مرحلة الضعف والانهيار بسبب التفكك الداخلي وتقسيم ممتلكاتها بين الدول الأوروبية ما جعلها تعكف على استرجاع الجزائر بعد احتلالها من طرف فرنسا.[1]

حيث صارع الصدر علي باشا في إرسال جيش عثماني قوامه ستة ألاف جندي لتحرير الجزائر لإنقاذ ما تبقى من هيبة الدولة العثمانية في شمال إفريقيا.

فقد حاول الباب العالي استمالة بعض الأنصار وإمدادهم بالأموال في كل "قابس" و"صفاقس" وجربة باعتبارها الأقرب للجزائر وكذا للسيطرة على تونس وبذلك قد تكون الدولة العثمانية استرجعت دولتين هامتين في آن واحد ولكن إدراك فرنسا بخطرها يقوم به العثمانيون على سحب ضباطها في طرابلس، وسحب المؤن والذخائر التي وصلت إلى هناك.[2]

وعليه نستنتج أنه كان للعثمانيين دوراً في قيام مقاومة 1871م.

_ تمرد فرق الصبايحية وانتقالهم إلى سوق أهراس 1871:

[1] أرجمنت كوران، السياسة العثمانية تجاه احتلال الجزائر، تر: عبد الجليل التميمي، ط2، الشركة التونسية لفنون الرسم، 1970م، ص61.

[2] يسمينة لعزازي، المرجع السابق، ص53.

يعود اندلاع تمرد فرقة الصبايحية في بداية الأمر إلى القرار الذي أصدره وزير الحربية الفرنسي في جانفي 1871م القاضي بنقل عدد كبير من القوات صبايحية[1] التي كانت مجندة في صفوف الجيش الفرنسي إلى أوروبا للمشاركة إلى جانب فرنسا في حربها ضد بروسية مع بداية عام 1871.[2]

وعلى إثر هذا القرار طلب النقيب بادنكو (Badenco) قائد زمالة صبايحية بجمع تشكيلة تضم عدد منهم من أجل إرسالهم إلى فرنسا، وقد رفض الصبايحية ذلك محتجين بأن عقود عملهم تقضي ببقائهم في الجزائر ومهمتهم مراقبة السكان واطلاع السلطات الفرنسية على تحركاتهم وأفكارهم وكل ما يدور بينهم.[3]

ونتيجة لهذا الرفض ثارت فرقة الصبايحية وكانت البداية من منطقة المجبر ببوغار وكذلك في الطارف وعين القطار قرب سوق أهراس.[4]

وبعد هذا التمرد غادر أفراد فرقة الصبايحية[5] الموجودين في منطقة مجبر قريب بوغار واتجهوا نحو سوق أهراس من أجل الالتحاق بإخوانهم الصبايحين.[6]

وكذا ومساندتهم في مجابهة الاستعمار الفرنسي في تلك المنطقة فحاصر الصبايحية سوق أهراس وأرغموا القوة الفرنسية التي كانت موجودة بها على الاحتماء داخل المدينة

---

[1] الصبايحية: يسميهم السكان (spahis) وأصلة الكلمة تركي، وتغي ارخميالة، وأنشئت الصبايحية سنة 1834م، فبالرغم من أنهم يعملون لصالح فرنسا، ولكنهم عارضوا تصرفاتهم، ولم يكونوا أوفيا بالكامل، أنظر: حياة تابتي، الطريقة الرحمانية.....، المرجع السابق، ص38.

[2] نعيمة قنزار، التهجير القسري للجزائريين إلى كالدونيا الجديدة جريمة ضد الإنسانية والاجتماعية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية، ص02.

[3] الزمالة: ويطلق هذا الاسم على الثكنة التي يتمركزون بها.أنظر: بسام العسلي، المرجع السابق، ص110.

[4] جمال ورتي، المرجع السابق، ص70.

[5] عائشة ناقل، كريم ولد النبية، فرق الصبايحية واستغلالها داخل الاستراتيجية الاستعمارية في الجزائر 1830_1845، "مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية"، المجلد 12، العدد1، جامعة حسيبة بن بوعلي شلف، 2019، ص148.

[6] فاطمة حناني وآخرون، المرجع السابق، ص67.

ولكن سرعان ما تغير الوضع بعد قدوم التعزيزات الفرنسية واتخاذ مجموعة من الإجراءات القمعية منها تطويق تحركاتهم وقطع كل الامتدادات المحتملة بهدف إيقاف هذا التمرد.[1]

استمر الحصار لفترة قصيرة لكن تميز بنشوب عدة اشتبكات بين الطرفين واستمرت حتى 08 فبراير 1871، وهذا كان كافيا لانسحاب الصبايحية ودخولهم إلى التراب التونسي وبمجرد وصولهم واجهوا خطر الإعادة القسرية إلى الجزائر من قبل السلطات الفرنسية التي مارست ضغوطات على السلطات التونسية لتسليمهم.

وفي هذه اللحظة الحرجة تدخل الأمير عبد القادر الذي كان يحميها في منفاه في دمشق حيث راسل السلطات التونسية مطالبا بعدم تسليم الصبايحية إلى فرنسا وكنتيجة لهذا التدخل تم السماح لهم بالبقاء في تونس.[2]

في حين ذلك قامت السلطات الفرنسية بتطبيق عقوبات صارمة ضد العائلات الثائرة من خلال إعدام عدد من المواطنين الجزائريين في الساحة العامة لمدينة سوق أهراس، وإنشاء محاكم عسكرية استثنائية من أجل إصدار مجموعة من القرارات والتي منها الإعدام أو النفي أو تغريم الثوار بمبالغ مالية ضخمة، أو الأشغال الشاقة المؤبدة.[3]

وعليه نستخلص أن فرقة الصبايحية قد لعبت دوراً محوراً في الأحداث التي مهدت لاندلاع مقاومة المقراني سنة1870م وذلك من خلال تمردهم اللافت ضد السلطات الفرنسية والذي يعتبر علامة فارقة في مسار تصاعد الغضب الشعبي اتجاه العدو الفرنسي.

2/ مقاومة المقراني:

[1] حياة تاتي، المرجع السابق،ص28.

[2] بسام العسلي، المرجع السابق، ص ص112، 113.

[3] جمال ورتي، المرجع السابق، ص ص76، 77.

تبعاً لهذه الظروف المتدهورة التي عاشها الشعب الجزائري جراء السياسة الاستعمارية الفرنسية التي تسلطت عليه منها الحرمان، والنحر، والمرض، والجرد من أملاكه وثرواته.

وفي مطلع عام 1870بلغت الأمور ذروتها في التعفن، والسوء، والتدهور، وأصبحت الثورة أمراً لا مفر منه، ولم يبقى إلا قائد يتزعمها وجدته في الباشاغا محمد المقراني، بالإضافة إلى وجود سند قوي وجدته في الشيخ الحداد وأتباعه الرحمانيين في مواجهة العدو الفرنسي.

وقد مرت هذه المقاومة بمجموعة من المراحل والمتمثل فيما يلي:

أ/ المرحلة الأولى: التحضير والانطلاق:

لقد ساهمت سياسة فرنسا المجحفة الظالمة في تضاعف البؤس والحرمان لدى السكان الجزائريين من خلال عدة عوامل[1] حيث كان المقراني يعيش كل هذه الأحداث ويتتبع خطاها، وكانت أخبار الحرب الفرنسية البروسية هي الأخرى تصله تباعاً عبر الصحف لذلك رأى أنه من الواجب أن يستغل انهزام فرنسا وانكسار قواتها في حرب لتعبئة الجماهير، وإعلان المقاومة ضد المحتلين، ولذلك بدأت تحركات المقراني في هذا الاتجاه، منذ مطلع شهر جانفي 1871م، ففي الخامس من نفس الشهر زار المقراني ابن علي الشريف باشاغا أقبو، ورئيس زاوية شلاظة، وفي الثامن من نفس الشهر زار زعيم الطريقة الرحمانية في صدوق، وهو الشيخ محمد أمزيان بن حداد.[2]

وفي 27 فيفري1871م قدم المقراني استقالته إلى كل من الجنرال أوجوه (Oguru) بقسنطينة والجنرال لالمان في الجزائر، فحاول لالمان أن يهدئه بأسلوبه الإداري المراوغ

[1] وحشية إلهام منصور وأخرون، المرجع السابق، ص38.

[2] سعيد بورنان، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر1830_1962م، رواد المقاومة الوطنية في القرن 19م، ط3، دار الأمل للنشر والتوزيع، تيزي وزو، ص101.

تماشيا مع الظروف الصعبة التي تمر بها فرنسا في أوروبا غير أن الباشاغا كان مصمماً على قراره، فجدد استقالته مرة أخرى يوم 09 مارس وأعاد إلى السلطات بمدينة البرج مرتبه الشهري عند شهري فيفري، كما أنه أعاد إلى وزارة الحرب شارة الباشاغوية المتمثلة في البرنوس الخاصة بالوظيفة.[1]

فقد وجه رسالة للجنرال أوجروا يخبره "أنّني أستعد اليوم لقتالكم، فالنحمل السلاح وليتهيدأ كل واحد منّا للقتال".[2]

وبعد هذا أرسل المقراني بياناً إلى كل القبائل يطلب منهم أن يقفوا في وجه الغازي الذي أصبح كالسلطات وقد مد أذرعه على كل ربوع الوطن ليبتز خيرات الشعب الجزائري.[3]

ويذكر لويس رين (Louis rinn) أن المقراني عقد أول إجتماع له لأعيان المنطقة في 14 مارس 1871م، وفي صباح 15 مارس اتصل بحاكم برج بوعريريج وأبلغه بخطة المقراني، وهو اليوم الذي جمع فيه المقراني قوته بمجانة وبداية المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي[4]، حيث بلغ عدد المقاتلين بعد يوم واحد من إعلان الجهاد أي في 16 مارس 6000 مجاهد[5]، وهو تاريخ إعلان المقاومة في 16 مارس 1871م[6]، فتوجه بنفسه للزحف على

[1] فاطمة حناني وآخرون، المرجع السابق، ص69.

[2] العربي منور، المرجع السابق، ص232.

[3] الصديق تاوتي، المرجع السابق، ص61.

[4] أميرة عثامنة، قبيلة أولاد مقران في العهد العثماني بداية الاحتلال الفرنسي (1516_1871م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ، تاريخ الجزائر الحديث، جامعة محمد بوضياف_المسيلة، الجزائر ص66.

[5] مريم بالحاج، المرجع السابق، ص6.

[6] محمد محمدي، ثورة المقراني بمجانة في الشرق الجزائري سنة 1871م: ثورة للمال أو للمال، "المجلة المغار للمخطوطات، المجلد7، العدد1، جامعة محمد بوضياف_المسيلة، الجزائر، 2019، ص322.

مدينة البرج في حين يتوجه أخوه بومرزاق[1] للعمل في منطقة ونوغة وسور الغزلان بينما كلف ابن عمه وصهره "السعيد بن داود" بقيادة المقاومة في منطقة الحصنة وبوسعادة وأولاد نايل بالجلفة.[2]

ب/ المرحلة الثانية: المواجهات العسكرية:

وصل المقراني إلى مدينة برج وبدأت الإشتباكات الأولى بالنيران مع العدو الفرنسي حوالي الساعة التاسعة صباحاً، ولكن القتال الحقيقي بدأ في منتصف النهار، واستمر حتى غروب الشمس.[3]

وبعد أربعة أيام من حصار مدينة برج بوعريريج بدأ الثورة بتلغيم أسوار المدينة لاقتحامها، ولكن أهداف المقراني لم تتحقق في التطويق وطرد الفرنسيين منها، لأن السلطات العسكرية كانت ضد اتخاذ احتياطتها منذ مدة، وهذا جعل المقراني ينسحب رفقة قواته إلى جبل مرسيان بمجانة.[4]

---

[1] بومرزاق: هو شقيق محمد المقراني الأصغر، لقب ببومرزاق لكونه كام يحمل عوداً رقيقاً يدعى بالأمازيغية أمرزاق أمشحاط عاش أحداث الثورة من بدايتها إلى نهايتها، حيث كان دوره عظيما فيها، أنظر: وحشية إلهام منصور، المرجع السابق، ص63.

[2] أم هاني دريسي، المرجع السابق، ص46.

[3] وحشية إلهام منصور وآخرون، المرجع السابق، ص41.

[4] مجانة: تقع شمال عاصمة الولاية برج بوعريريج على بعد 11 كلم، تعتبر مركز سكاني هام تحتل موقعاً ايستراتيجياً يربط المناطق الجبلية شمالاً وسهول مجانة الشهيرة إلى مدينة برج بوعريريج جنوبا، أنظر: مزيان واشن، مجانة عاصمة امارة المقرانيين (ثلاث قرون من النضال السياسي والجهاد العسكري في القرن 16 و 19م)، دط، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص23.

فشرع في توسيع اتصالاته، إلاّ أن معظم جهود المقراني في استمالة رؤساء القبائل قد ضاعت إذ رفض الكثير منهم الاستجابة لدعوته إلا أنه نجح في استمالة الحدود إليه بأتباعه، وهذا كان بالنسبة إليه مكسبا عوضه عن كل ما فقده من تأييد القبائل الأخرى.[1]

وقد كلفت القيادة العسكرية العليا بالعاصمة الجنرال سويس (Saussies) على رأس تشكيلة عمادها 5000 جندي جيدي التسليح والعدة، بالاتجاه نحو معسكر المقراني في منطقة مجانة.[2]

وقد وصلت هذه التشكيلة صباح 08 أفريل 1871م إلى مجانة وهو نفس اليوم الذي نجح فيه محمد المقراني في ضم الحداد إليه، فقد قام هذا الجنرال بإحراق منازلها ماعدا قصر المقراني الذي أخذه مقراً له وتمركز فيه.[3]

ترك المقراني قوة لمناوشة الفرنسيين بمنطقة مجانة ومريسان، وننتقل هو إلى زمورة ثم إلى قمرو شرقي مدينة البرج وذلك لإجراء مفاوضات مع أبناء عمومته الذين كانوا معارضين له فعقد معهم اجتماعاً في 04 أفريل في نفس العام مع كبار رجاله وتم الاتفاق على ضرورة توحيد الصفوف، فأجرى بذلك اتصالات مع أولاد عمومته ونجح في استمالتهم إليه بعد يومين من المفاوضات، كما تبعهم في ذلك عدد آخر من الناس الذين كانوا من قبل خارج صف معادين أو مترددين.[4]

[1] وحشية إلهام منصور وأخرون، المرجع السابق، ص42.

[2] الصديق تاوتي، المرجع السابق، ص63.

[3] أم هاني دريسي، المرجع السابق، ص56.

[4] بسام العسلي، المرجع السابق، ص135.

دعت القيادة العليا الجنرال سويسي[1] إلى ترك منطقة مجانة والإلتحاق بسرعة بناحية سطيف التي بدأت تعاني من هجومات الجزائريين، فقام الجنرال بهدم قصر المقراني ثم اتجه صوب مدينة سطيف، وقد نفذ الجزائريون خطة تقضي بترك المدن والمداشر الواقعة على السهول وإقامتة معسكراتهم في القمم.[2]

وتجمع منهم في سهل سيد مبارك شرف البرج أي واد الشعير، واعترضوا طريق القوات الفرنسية التي غادرت البرج متجهة إلى سطيف يوم 20 أفريل 1871، وعلى إثر ذلك عقد الثوار اجتماعاً لهم قرب عين مسعود بهدف دراسة الموقف الجديد وقد حظر هذا الاجتماع بومرزاق وعبد الرحمان بلقندوز وسي عزيز[3] ابن الشيخ الحداد وغيرهم من القادة وتم وضع خطة لمواجهة القوات الفرنسية.[4]

تحرك المقراني ناحية غرب البلاد وهي المنطقة التي كان بها بومرزاق ورفاقه يواجهون الجيش الجنرال سيوير (cerez) الذي قدم خصيصاً لتعزيز قوات المقدم تريملي (Trumelet).[5]

قام المقراني بإسناد قيادة الأعمال القتالية في واد الشعير إلى أخيه بومرزاق مع بعض المقدمين الرحمانيين بزعامة عزيز الحداد، واتجه هو إلى بني عباس ليتفقد أمور المنطقة ويكتب الكثير من الرسائل ليكسب المزيد من الأنصار الجدد، غير أن نجاحه في ضم

---

[1] سويسي: هو جنرال فرنسي، ولد سنة 1828م، ضابط فرقة المشات شارك في جميع الحمالات التي قامت بها الإمبراطورية الثانية، قادة جملة على تونس 1881م، أنظر: هالة فرحاتي، المرجع السابق، ص61.

[2] الصديق تاوتي، المرجع السابق، ص ص 63_64.

[3] سي عزيز: هو الابن الثاني للشيخ الحداد، كان أحد أهم القادة السياسيين والعسكريين للمقاومة، ولأن الطريقة الرحمانية كانت تحتل موقعا سياسيا متفوقا فقد شغل السي عزيز مناصب مرموقة فكان قادة عموشة، ولكن عندما عين على الشريف باشاغا علي شلاطة قام سي بوعزيز بتقديم استقالته، أنظر: محمد الشريف ولد الحسين، من المقاومة إلى الحرب منذ الاستقلال 1830_1962م، دط، دار القصبة، الجزائر، 2010، ص16.

[4] أم هاني دريسي، المرجع السابق، ص49.

[5] الصديق تاوتي، المرجع السابق، ص64.

الإخوان الرحمانيين إلى المقاومة وتوحيد صفوف عمومته هو الذي جعله يطمئن بعض الشيء للجهة الشرقية، رغم أن الأحداث في واد الشعير لم تكن حاسمة.[1]

ج/ المرحلة الثالثة: التراجع والضعف:

بعد تفقد سريع لفعلة بني عباس، تابع المقراني رحلة باتجاه سور الغزلان أين وصل يوم 25 أفريل، وهنا عقد اجتماعا ذا أهمية بالغة، حضره كل قادة المنطقة ومقدمون من الطريقة الرحمانية، وذلك بغية التعرف بطريقة العمل وكذا رسم الخطط القتال التي تتبع الجنرالسويز والمقدم تريملي وحليفهما الأغا بوزيد[2] على وجه الخصوص.[3]

وقد حصلت في اليوم الموالي معركة طكوكة على ربواث ذراع المؤمن وقد جرح فيها عدد من الفرنسيين، واستشهاد من الثوار ثلاثمائة محارب وذلك نظراً لتفوق الأعداد، ولم يحضر المقراني هذه المعركة، غير أن رجاله نجحوا في اعتقال سبعة رجال من أتباع بوزيد، ولم يبقى محمد المقراني طويلاً في ونوغة بعد معركة طكوكة عاد مسرعاً إلى بني عباس يوم 29 أفريل في نفس العام ليجهز نفسه، بعد أن تأكد من عداء ومعارضة الأغا بوزيد الشديدة للجهاد واستعد أخاه بومرزاق ليستعد للمواجهة.[4]

---

[1] يحي بوعزيز، الكفاح المسلح من خلال وثائق المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، ص232.

[2] الأغا بوزيد: هو أحد أحفاد محمد الطيب بن سالم خليفة الأمير عبد القادر على البويرة، وقد أصبح من عملاء الفرنسيين، وشكل عقبة في وجه مقاومة المقراني والإخواة الرحمانيين في المنطقة ونوغة وسور الغزلان والبويرة، أنظر: بسام العسلي، المرجع السابق، ص 139.

[3] الصديق تاوتي، المرجع السابق، ص65_66.

[4] أميرة عثامنة، المرجع السابق، ص68.

وكان هدف المقراني هو تجنيد أكبر عدد من المقاتلين للوقوف أمام الجيش الكبير الذي حشده الجنرال سويز بالإضافة إلى رجال خادمة الأغا بوزيد، وقد تمكن المقراني من تجنيد 4000 رجل ثم أخذ طريق العودة.[1]

ونضم إليه في الطريق عدد كبير، بوخليل، وبني مكيكش وبني عباس، وبني يعلي، وبني منصور، وأخذ طريقه إلى مدينة البويرة وذلك في أول ماي 1871م فوصل إلى المنطقة في اليوم الثاني، وفرض عليها الحصار وحاول إقتحامها غير أن الأغا بوزيد وأنصاره من أولاد بليل وأولاد عريب قاوموا بشدة فتراجع المقراني إلى قرية بوشرين وأخذ يستعد لمواجهة قوات سيريز التي كانت صدمة كبيرة تلقاها المقراني، بسبب فشله في إخضاع خصمه الأغا بوزيد، وكان قد حصل من قبل على سبعة من رجال الأغا فحاول الاستفادة منهم لمساومة الأغا بوزيد وبذل المقراني كل الجهود لإستمالته وضمه إلى صفوف الثورة غير أن الأغا كان مصمم على متابعة طريقه في خدمة الفرنسيين ومحاربة المقراني وأنصاره الرحمانيين.[2]

د/ المرحلة الرابعة: استشهاد المقراني ومواصلة بومرزاق المقاومة:

على كل حال لم يتوقف المقراني فقد ترك بقوته التي بلغ عددها ثمانية ألاف مقاتل وتجاه إلى الربوات المحيطة بواد سوفلات، وفي الرابع من شهر ماي من نفس الشهر انشر الثوار في واد سيدي سالم بينما أقام المقراني معسكره في واد الرخام على ربوة تدعى كدية السدود، فقد كان اختياره لها ناجحاً نظراً لكونها صعبة المسالك ويصعب على الفرنسيين

[1] الصديق تاوتي، المرجع السابق، ص65.

[2] وحشية إلهام منصور وآخرون، المرجع السابق، ص45.

التنقل فيها، غير أن الأغا بوزيد تكفل بحل هذه المشكلة وأخذ على عاتقه مهمة إمداد الفرنسيين بالمعلومات عن تحريك المقراني.[1]

عليه استطاعت القوات الفرنسية الوصول في يوم 05 ماي من نفس العام إلى ذراع بلخروب غير بعيد عن معسكر المقراني، وأخذت هذه القوات في عملية الاستطلاع لتحديد موقع الثوار، ثم استطاعت القوات الفرنسية من الوصول إلى الثوار مما حدث بينهم اشتباكات منذ طلوع الفجر.[2]

واستمرت حتى منتصف النهار بصورة متقطعة، وعلى الرغم من أن الفرنسيين كانوا على علم بوجود المقراني في المنطقة، إلاّ أنهم لم يكونوا على علم بوجوده في ذلك المكان بالضبط خاصة، وقد قام المقراني بتغيير لباسه تنفيذاً لاقتراحات أصحابه، حيث كان لباسه يعرف به بسهولة، وارتدى لباساً مختلفاً.[3]

ولكن لم يأخذ المقراني الاحتياطات اللازمة والكافية لحماية نفسه، فمنذ الصبيحة كان الرصاص يتهاطل من كل جانب وحين انخفضت شدة القصف عند الظهيرة، أراد المقراني أن يغتنم ذلك الوقت ويؤدي صلاة الظهر جماعة مع رفقائه، ولم يكن يعلم أنه على حوالي 700 متر منه كان بعض الزواف[4](zouaye) ، كانوا يتصدونه فأطلقوا عليه النار فأصاب الرصاص جبهته فسقط شهيداً وهو يردد الشهادة ولفظ أنفاسه الأخيرة في عين المكان، كما

[1] بسام العسلي، المرجع السابق، ص142.

[2] أم هاني دريسي، المرجع السابق، ص51.

[3] الصديق تاوتي، المرجع السابق، ص67.

[4] الزواف: هم فرقة جندتها فرنسا من بين الأهالي وتعود تسميتها إلى اسم القبائل الأولى التي تم منها التجنيد (زواوة). أنظر: الصديق تاوتي، المرجع السابق، ص67.

سقط معه ثلاثة من إخوانه فتوقف الرمي تماماً وذلك لهول الصدة التي نزلت بأتباعه، فحمل الثوار في الحال جثة المقراني إلى قلعة بني عباس ودفنوه بمسقط رأسه.[1]

هكذا انتهى جهاد المقراني بعد جهاد دام واحد وخمسين يوما فقط[2] من بداية ثورته، ولم يعيش خلالها أحداثاً حاسمة فقد كان نصيبه الاصطدام بالصعوبات حيث فشل في السيطرة على برج بوعريريج كما فقد قصره بمجانة وكل أملاكه، وعجز في احتلال البويرة وإخضاع الأغا بوزيد.[3]

لكن في مقابل ذلك حققا نجاحاً، في توحيد جبهة عمومته ضد الاستعمار، ودعم كذلك قوته بالتعاون مع الحداد واقناعه في رافع راية الجهادفي سبيل الله، هذا ما ضمن للمقاومة الصمود والاستمرار.[4]

إن مقتل المقراني أثر كثير في جبهة الثورة وكان وجوده مظهراً للقوة رغم كل المشاكل، ويمكن القول أن اختفاءه على رأس المقاومة جعل المقاومة تفقد رأسها، غير أن الذي أنقذ الموقف هو أخوه بومرزاق وحركة الإخوان الشيخ الحداد والرحمانيين حيث تدعمت الزاوية الرحمانية ببلاد القبائل المتمثلة في السي عزيز بن الشيخ الحداد والذي كان يعتبر قائداً حيث كلفه والده الشيخ الحداد الجهاد وبومرزاق الذي يعتبر كان محترماً من طرف فرنسا.[5]

واصل بومرزاق ورفاقه المقاومة وكذا الشيخ الحداد وبنيه والرحمانيين، فخاض بومرزاق عدة معارك ضد المستعمر الفرنسي وتمكن من خلالها الهيمنة على أكبر مساحة

---

[1] يحي بوعزيز، ثورات الباشاغا محمد المقراني.....، المرجع السابق، ص227.

[2] أميرة عثامنة، المرجع السابق، ص69.

[3] أم هاني دريسي، المرجع السابق، ص51.

[4] هالة فرحاتي، المرجع السابق، ص66.

[5] أميرة عثامنة، المرجع السابق، ص ص 69_70.

من تراب الجزائر فأرغم الحاميات العسكرية والمعمرين على إخلاء بلاد القبائل وجميع الهضاب العليا بقسنطينة إلى جبال الأوراس باستثناء باتنة وسطيف وسهول الحضنة ومدينتي مسيلة وبوسعادة اللتين استقبلتا أخاه وخليفته بومرزاق بترحيب كبير.[1]

ولكن سرعان ما انقلب الوضع وبدأت القوات الفرنسية في تحقيق الانتصارات وهذا ما أفزع الإخوة الرحمانيين.[2]

وعليه كان هؤلاء الرحمانيون أول من ألقى السلاح حيث استسلام الشيخ سي عزيز للجنرال لالمان في 30جوان 1871م أما أخاة الشيخ محمد فقد غرّ به أحد رجال عائلته، فقاده إلى بجاية وسلمه إلى حاكمها الفرنسي في 02 جويلية 1871م، أما أبوهما سلم نفسه للجنرال سومي في 13 جويلية 1871م، في تيزي الأكحل قرب ذراع الأربعاء بعد أن علم بسقوط ولديه في يد القوات الفرنسية، وأدى استسلام الشيخ الحداد وابنيه لاستسلام العديد من الرجال والقبائل.[3]

قد أثر هذا الانسحاب أيضا على بومرزاق في مجابته للعدو الفرنسي ضف على ذلك المعارك التي أنهكت قوته ولم يستطيع مجاراة الحرب ضد جيوش العدو وخاصة بعد انهزامه في معركة بالقرب من قلعة بني حمادي في 08 أكتوبر 1871م، وعلى اثر هذه الهزيمة اتجه إلى الصحراء، لكن الفرنسيين اكتشفوا أمره بالقرب من الرويسات بورقلة وألقوا عليه القبض في 20 جانفي 1872م، ونقل به مباشرة إلى معسكر الجنرال دولاكروا حيث أصدر هذا الأخير حكم الإعدام في حق بومرزاق في 27 مارس 1873م[4]، فأثر ذلك على المقرانيين فاحتجوا على ذلك وبعدها تراجعت فرنسا على قرارها وعوضته بالنفي إلى جزيرة كاليدونيا،

---

[1] حياة تابتي، المرجع السابق، ص31.

[2] بشير بلاح، المرجع السابق، ص297.

[3] يحي بوعزيز، ثورات الجزائر.....، المرجع السابق، ص255.

[4] هلايلي حنيفي، مرجع سابق، ص ص 19-20.

كما قدم الشيخ الحداد وابناه سي عزيز ومحمد إلى المحاكمة في نفس المحضر الذي قدم فيه بومرزاق وفي نفس المحكمة بقسنطينة، حيث صدرت الأحكام على الشيخ وابنيه في 19 أفريل 1873م فحكم على الوالد بالسجن الانفرادي خمس سنوات، وعلى الشيخ عزيز بالنفي وعلى أخيه بالنفي أيضا، وبعدها توفي الشيخ الحداد في 29 أفريل عن عمر يناهز 83 سنة على إثر مرضه.

بالإضافة إلى ذلك عاقبة السلطات الفرنسية كل الأشخاص الذين شاركوا في المقاومة، وتم توزيعهم على عدة محاكم في الجزائر العاصمة وقسنطينة والبليدة، وقدموا إليها أفواجا وجماعات بصورة دورية.[1]

وبهذا تمكنت فرنسا من القضاء على مقاومة المقرانيين سنة 1871م.[2]

المطلب الثالث: نتائج المقاومة

نتيجة لفشل مقاومة الشيخ المقراني والشيخ الحداد وتحكم المستعمر الفرنسي في الوضع، جاء دور الانتقام الأعمى وكان من خلال إصدار المستعمر مجموعة من الأحكام التعسفية ضد المشاركين في هذه المقاومة من الشعب الجزائري.

وعليه ترتبت مجموعة من النتائج عميقة نشير إلى أهمها.

بعد المقاومة قررت السلطات الفرنسية مصادرة جميع أراضي وممتلكات الثوار، وكانت البداية مع الشيخ المقراني[3] حيث مرت عملية المصادرة بمرحلتين.

---

[1] الصادق دهاش، المرجع السابق، ص19.

[2] محفوظ رموم، الاحتلال الفرنسي الأقصى الجنوب الغربي الجزائري والمجابهة العسكرية والثقافية، جامعة أدرار، ص58.

[3] مزيان وشن،سياسة الهجرة والتهجير أسلوب استعماري في الجزائر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، ص141.

فكانت المرحلة الأولى بعد 10 أيام من انطلاق المقاومة، وبدأت في تطبيق قرار المصادرة من يوم 05 أفريل وذلك من خلال وضع أملاك المقراني تحت الرقابة القضائية.

بالإضافة أيضا إلى أملاك القبائل والعرب الذين التحقوا بهذه المقاومة والتي قدرت مساحة هذه الملكية ب16 هكتار و45 آر و65 متر.[1]

أما المرحلة الثانية فكانت بتاريخ 08 ماي 1878م عندما تمت مصادرة ملكية تابعة أيضاً للمقراني والتي تقع في دور على الطريق سور الغزلان بسطيف والتي تقدر مساحتها ب33 هكتار و37 آر. وعليه استمرت فيما بعد مصادرات أخرى تخص المقراني وكذا أفراد أسرته، إلى غاية تجريده من كل ممتلكاته بعد إحصائها بطريقة دقيقة واستغرقت عامين وأربعة أشهر.[2]

ولم يسلم الشيخ الحداد وابنيه من القوانين التعسفية، حيث تم أيضا تجريده من الأملاك العقارية والأراضي الزراعية التابعة لهم وفق لصدور قرارا تعسفي بتاريخ... سبتمبر..،[3] والذي ينص على مصادرة الأملاك المنقولة وغير المنقولة للشيخ الحداد وأولاده، وقد قدرت مساحة الأراضي التي صدرت بأكثر من 5ألاف هكتار، تضم أراضي فلاحية ومنازل وخمسة عشر دكانا ومخزناً ثلاثة استطبلات ومعصرة زيتون ومسجد.[4]

ولقد استعملت السلطات الفرنسية ضدها وصادرت أملاكها وأملاك أتباعها وذلك لمحاولة منها لمحو تأثيرها الروحي على الشعب.

---

[1] وحشية ألهام منصور، وآخرون، المرجع السابق، ص68.

[2] الصديق تاوتي، المرجع السابق، 111_112.

[3] علي بطاش، المرجع السابق، ص154.

[4] أم هاني دريسي، المرجع السابق، ص60.

وزيادة على ذلك أقدمت الإدارة الفرنسية بعملية مصادرة أملاك وأراضي الأهالي والشعب وذلك بحجة مشاركتهم في المقاومة إلى جانب الثوار.[1]

وبذلك تحول العديد من الجزائريين من ملاك أراضي إلى خماسين وخدام فيها بعد هذه المصادرة.[2]

وقد قامت الحكومة الفرنسية بتوزيع تلك الأراضي التي تمت مصادرتها من الشعب على الكولون والتي بلغ عددها 1.161.130 هكتار[3] والتي قدرت قيمتها الحقيقية بـــ91.948.4950 فرنك[4] وتم تغريم السكان ب36 مليون فرنك ذهب.[5]

كما استغلت الإدارة الاستعمارية هذه الثورات لتصادر أفضل أراضيهم بالجملة وتفرض عليهم غرامات باهظة فصارت 600 ألف هكتار وزعتها على مهاجري الألزاس واللورين وغرمتهم بحوالي 100 مليون فرنك، وقدر ما فقدوه من جراء الغرامات والمصادرات بأكثر من 70.4% من مجموعة أملاكهم وثرواتهم العقارية والحيوانية.[6]

بالإضافة إلى تهجير وتشتيت قبائل التابعة للمقراني، فقد هجرت بالقوة بعد أن صودرت أراضيها وأملاكها بمجانة وغيرها.[7]

---

[1] عبد الله مقلاتي، في جذور الثورة الجزائرية مقاومة المستعمر المستمرة من الاحتلال إلى فاتح 1954، موسوعة تاريخ الثورة الجزائرية، دط، دار شمس الزيان، الجزائر، 2013، ص85.

[2] محفوظ قداش، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830_1954، تر: محمد المعراجي، د.ط، منشورات ANEP، الجزائر، 2008، ص214.

[3] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر المعاصر، ج5، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص310.

[4] بسام العسلي، المرجع السابق، 184.

[5] أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية للنشر والطباعة، القاهرة، 2016، ص656.

[6] يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830_1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص28.

[7] هالة فرحاتي، المرجع السابق، ص84.

كما استعملت مختلف الأساليب في تعذيب الجزائريين حتى لا تكون لهم نية في مواجهتها مرة أخرى.[1]

كما شددت الرقابة على أتباع الطريقة الرحمانية، التي اعتبرتها العدو الأكبر لها، وذلك بسبب الدور الذي لعبته في التصدي للاستعمار لذلك اتخذت ضدها مجموعة من الإجراءات من أجل تمزيقها والقضاء عليها.[2]

ارتكبت فرنسا فضائح واعتداءات بحق السكان، كالقتل الجماعي، إحراق القوى، إهلاك الزرع والبذر، وانتهاك الحرمات.[3]

بالإضافة إلى فرض غرامات باهظة على مجموع سكان المناطق الثائرة ومصادرت مساحات كبرى من أجود أراضيهم، لقد بلغ مجموعة الغرامات التي فرضت بالفعل حوالي الخمسين مليون فرنك ذهب[4]، وبمصادرة الأراضي 313 بلدية قدرت مساحتها ب2639 هكتار أما بالنسبة للأراضي التي يحتاجها المستوطنون، فقد تقرر بيعها للجزائريين بسعره 50 فرنك للهكتار إذا كانت الأرض مثمرة و10 فرنكات إذا كانت غير مثمرة.[5]

وكانت قيمة الأموال التي جمعت كتعويض عن الحرب التي خاضها الشعب ضد فرنسا ب36.282.298 فرنك والتي سميت بغرامة الحرب وإلى جانب مصادرة الأراضي فرضت السلطات الفرنسية الاستعمارية ضرائب الحرب كانت فادحة على الجزائريين.[6]

---

[1] أم هاني دريسي، المرجع السابق، ص84.

[2] العياشي روابحي، المرجع السابق، ص167.

[3] مريم بلحاج، المرجع السابق، ص08.

[4] جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ط المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار وحدة الطباعة بالرويبة، الجزائر، 1994، ص125.

[5] عمار بحوش، التاريخ السياسي من البداية ولغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997، ص159.

[6] مزيان وشن، المرجع السابق، ص142.

أما بالنسبة لهؤلاء المستوطنين شكلوا التمرد في منطقة القبائل استجابة لرغبتهم في إيجاد آفاق جديدة لبسط سيطرتهم وسبيلاً للاستيلاء على أراضي القبائل الثائرة من أجل إرساء السيطرة الأوروبية فطالب المستوطنون بإزالة جميع القبائل التي شاركت في المقاومة إلى الصحراء حتى يتسن لهم الاستقرار بالشمال الجزائري.[1]

[1] سهام شريفي _خليدة حاج بن فطيمة، قضايا وطنية من خلال كتاب "موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب"، ليحي بوعزيز (1866_ 1961م)، أنموذجاً، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة المدية، الجزائر، 2015_2016م، ص40.

خلاصة:

ما نستخلصه في الأخير من دراستنا لمقاومة الشيخ المقراني والشيخ الحداد نجد أن السياسة الفرنسية في الجزائر كانت تهدف إلى طمس الهوية الجزائرية، لكن رد الشعب الجزائري جاء من خلال الثورات الشعبية، والتي لم تدم طويلا فقد أدت إلى فرض عقوبات قاسية على المشاركين فيها، ومن بين الوسائل التي اعتمدتها فرنسا لترسيخ مشروعها الاستعماري في الجزائر كان النفي والإبعاد، حيث كانت هذه الوسيلة من أساليب العقاب، وتتمثل في ترحيل الأفراد إلى أماكن يصعب العيش فيها بهدف عزلهم عن أهاليهم ومحيطهم وقد قامت فرنسا بذلك قصد كسر شوكتهم والتخلص من تأثيرهم، خاصة بعد أن اصبحت لديهم مكانة مؤثرة بفضل الروح الوطنية التي تجلت بوضوح في حركات المقاومة الشعبية.

المبحث الثاني: ردود فعل الفرنسية على مقاومة الحداد والمقراني

تعد مقاومتي الشيخ الحداد والشيخ المقراني سالفتي الذكر في المبحث الأول، من البطولات الخالدة لزعماء ورجال الأمة الجزائرية الذين دافعوا بكل قوة على أراضيهم وقدموا تضحيات جبارة من أجل أن تنعم هذه الأخيرة بالحرية وأن لا ترضخ للمستعمر القائم مهم حدث، لكن سوء التنظيم وقلة السلاح، بالإضافة إلى نشوب بعض الفتن الداخلية في بعض الأحيان حال دون نجاح هذه المقاومات وأدى إلى استسلام زعمائها واستشهادهم في أحيان أخرى، كل هذا أدى بالإدارة الفرنسية إلى الضرب بيد من حديد واتخاذها إجراءات صارمة تعسفية فهو حق المقاومين.

المطلب الأول: الإجراءات الفرنسية اتجاه المقاومين

فيما يلي سنتطرق إلى ذكر الإجراءات الفرنسية اتجاه المقامين والتي تتمثل فيما يلي:

1/ مصادرة الأملاك والأراضي:

بعد نهاية المقاومتين وإلقاء القبض على كل المشاركين فيها، اتجهت الإدارة الاستعمارية إلى المصادرة الجماعية لممتلكات وأراضي 314قبيلة أو دوار تضم 5948 كبير عائلة أقيلوا من مهنهم بتهمة المشاركة في تلك المقاومات. هذا الأسلوب من العنف والقسوة في عمليات المصادرة كان مفزعا، لكنه مباركا من صف بعض الضباط الجيش وأغلبية المعمرين لأنهم رأوا فيه أهم وسيلة لتخفيف ما دعوه بالتهدئة، وذلك من خلال تجريد السكان من أموالهم وأراضيهم العقارية عقابا لهم، ولمنعهم من القيام بمقاومة مسلحة مرة أخرى.[1]

وعلى هذا الأساس طالب أحد ضباط الجيش بالضرب بشدة ودون شفقة على أيدي الذين حرضوا على المقاومة، ينزع سلاحهم وحجز ومصادرة أملاكهم، ونفي زعمائهم إلى الخارج لما حصل لسكان واحة الزعاطشة، وذلك من أجل الاحتفاظ بالجزائر وحمايتها من الغرق.[2]

خاصة أملاك الشيخ المقراني وأفراد عائلته التي بدأت الإدارة الفرنسية مصادرتها بداية من 20 مارس 1871م وذلك نتيجة للعداوة البينة ووقوف الشيخ المقراني في وجه الإدارة الفرنسية، حيث قاموا بالاستيلاء على جميع ممتلكاته، ووضعها تحت الحراسة

[1] نعيمة قنزاز، التهجير القسري للجزائريين إلى كاليدونيا الجديدة كريميو ضد الإنسانية، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية.
[2] يحي بوعزيز، ثورة 1871، (دور عائلة المقراني والحداد)، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص55.

الفرنسية سواء كانت منقولات أو غير منقولات وأيضاً الاستيلاء على أنواع أملاك الأعراش والعرب الذين خرجوا على الطاعة مع المقراني سواء كانت الممتلكات شخصية أو مشاعة.

وشملت هذه الأملاك التي استولت عليها الإدارة الفرنسية في جنان تبلغ مساحته 16 هكتاراً و45 آر و65 متراً، بالإضافة إلى برجين وحديقة وقطعتي أرض لزراعة الخضار والأشجار المثمرة ومقهى عربي وإسطبل وبئر ونافورة مياه، وهو أول مصادرة لأملاك المقراني بعد صدور القرار الخاص بذلك.[1]

أما في المرحلة الثانية في عملية المصادرة، فصدرت كل أملاك المقراني والتي بلغت مساحتها 49 هكتار، و82 آر، و65 متر مربع، وتواصلت مصادرة أملاك كل أفراد عائلته حتى النصف الثاني من عام 1873، والتي وصلت مساحتها إلى 22.829 هكتار و89آر و55 متر مربع.[2]

بالإضافة إلى أملاك الشيخ الحداد وعائلته التي تعرضت للمصادرة في اليوم الأول من شهر أوت 1871 حيث أصدر حاكم عمالة قسنطينة على قرار يوم 06 سبتمبر، والذي كان ينص على مصادرة الأملاك المقولة وغير المقولة للشيخ الحداد وأولاده.[3]

فقد قدرت مساحة الأراضي التي صودرت للعائلة بأكثر من 5 ألاف هكتار تضم 62 ضيعة فلاحية، 07 منازل، 15 دكاناً ومخزناً، 03إسطبلات 03 أرحية، معصرة زيتون

[1] بسام العلسي، المرجع السابق، 195.

[2] الصديق تاوتي، المرجع السابق، ص110.

[3] يحي بوعزيز، ثورة 1871 ...، المرجع السابق، ص ص 320_323.

ومسجداً، وكان هدف فرنسا إرضاخ العائلة والتقليل من تأثيرها الروحي على الفئات الشعبية.[1]

2/ حجز واعتقال المقاومين:

بلغ عدد الموقوفين بتاريخ أول فيفري 1872 حوالي 830ألف شخص فرض عليهم الحجز الجماعي وضريبة الحرب انتقاما واستمرت أعدادهم في تزايد مستمر من أجا محاكمتهم، لما انطلقت عملية إصدار الأحكام من 15 جانفي 1872 بنسبة 50 إدانة في اليوم الواحد فتبعا للأميرال بوتيو فقد بلغ عدد المحكوم عليهم بالنفي في هذه المرحلة 1300 فرد من ضمنهم 213 زعيم من قادة المقاومات الشعبية زج بهم حمون وسجون ومعتقلات كانت مليئة عن أخرها، وبذلك فلم يكن للمدانين خيار سوى النفي أو الإعدام فطق إجراء النفي، وقد عبر أحد قادة فرنسا عن رأيه قائلاً أن فرنسا قد ارتكبت خطأ عندما قدمت الثوار للمحاكمة أمام المحاكم الجنائية التي تزعمها المعمرين الأوروبيين التي مست الثورة البعض منهم ووجدوا في ذلك فرصة لا تعوض.[2]

بالنسبة للسلطات الفرنسية كان من الممكن إرسال جميع المعتقلين إلى أطرف الأخر من الأرض لعدة اعتبارات منها الاستيلاء على الأرض لبناء مستوطنات جديدة واستقبال مهاجري الألزاس واللورين والتخلص النهائي من القبائل الثائرة وتخفيف الضغط على

[1] علي بطاش، المرجع السابق، ص169.

[2] عز الدين بلعيدي_ نبيلة لرباس، كاليدونيا منفى الثوار الجزائريين (1864_1895)، "المجلة التاريخية الجزائرية"، العدد2، المجلد08، الجزائر، 2024، ص77.

الجيش الذي مارس سياسة الإبادة والحرق وفي هذا الصدد يقول شارل روابير جيرون قائلاً "إن القمع الذي قوبلت به الانتفاضة لم يكن له مجال للمقاومة بحجم الانتفاضة...فقد بدا فعلاً انتقاما وحشيا أكثر منه تطبيقاً لعقاب يأتي مناسباً للأعمال المقترفة...".[1]

عرض كل من الأميرال بوتيو وزير البحرية والمستعمرات ورد فور حافظ الأختام ووزير العدل مشروع قانون النفي على رئيس الجمهورية بتاريخ 15 فيفري 1872.

وعرض البرلمان الفرنسي لمناقشته والانتخاب عليه، ثم أن عقوبة النفي إلى المستعمرات المسجلة في قانون العقوبات لم تطبق قبل تاريخ 08 جوان 1850.

خصص نابليون الثالث عدة مناطق من جزر المار كينز لاعتقال المدانين وذلك بتصريحه أن المخول له إحداث أي تغيرات على هذه الأحكام قي المستقبل، وعين كل من وادي فيانتيو وجزيرة لو كاهيتما كمنطقين للنفي، بدأت الأشغال فيها وهي لا تتوفر على أية منشأة نهائيا، من 1850 إلى غاية 1871 ثم أصدر قرار العفو استفاد منه المنفيون باستثناء قادة ثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1864.[2]

كانت الفكرة الرئيسية متمثلة في وضع المدنيين في المستعمرات الحديثة بالأعمال الشاقة في كاليدونيا منذ إلغاء النقل إلى السجن غويانا، فأستغل المحكوم عليهم بالأعمال الشاقة في عملية الحفر والبناء.[3]

إضافة إلى تهيئة أماكن أنقال أخرى لتفادي أي اختلاط قد يقع بين المرحلين والمبعدين والمنفيين، فكان اللازم تعيين مناطق دقيقة ومحدودة على الجزيرة وملحقتها لفصل المنفيين،

[1] الصديق تاوتي، المرجع السابق، ص119.
[2] عز الدين بلعيدي، المرجع السابق، ص78.
[3] الطاهر أوصديق، المرجع السابق، ص221.

وتحديد إقليم خاص بالمرحلين الأحرار المنقولين للاستيطان في مساحات واسعة من جهة ووضع المنفيين المعتقلين داخل أسوار محضة في مناطق مغلقة لتسهيل فرض رقابة صارمة.[1]

بالنظر إلى الاعتبارات المناخية، كانت الكوارث الطبيعية تشكل العائق الرئيسي لأي محاولة فرار، حيث أنزل المنفيون في جزيرة الصنوبر 13.000 هكتار طول الحدود 54 كلم، تتواجد على بعد 80 كلم جنوب شرق الجزيرة ليعيشوا فيها دون حراسة فطبيعة السواحل تجعل من محاولة الفرار أمرا صعبا وخطيرا فالموت محتوم عبر المياه الإقليمية وتقلبات البحر حسب ما ذكره جيمس كوك. أما من الجانب المحفز اعتبرت هذه المناطق المكان الأكثر ملائمة للعيش في كاليدونيا الجديدة حيث يسود المنطقة موسم الربيع المستمر إذ يمكن للإنسان من دون أي ضرر أن ينام في الهواء الطلق بعيداً عن أي ملجأ، فكان الهروب أشبه بالانتحار والصمود هو الحل الوحيد للبقاء.[2]

المطلب الثاني: سلسلة المحاكمات في حق المقاومين الجزائريين

بعد مصادرة الأملاك الشخصية والجماعية جاءت المحاكمات كإجراء أخر لمعاقبة الثوار، حيث استغراق إعداد المحاضر والملفات حوالي عامين، وزع بعدها الثوار على عدة محاكم في الجزائر العاصمة، قسنطينة والبليدة، قدموا إليها أفواجا وجماعات بصورة دورية، وحوكم الثوار على أنهم قتلة وأشرار وسارقون ومجرمون في حق القانون العام، ورغم أن أسباب المقاومة كانت سياسية، وبذلك ارتكب الفرنسيون خطأ كبيراً في تقديم الثوار للمحاكمة

[1] شارل أندرى جوليان، تاريخ الجزائر المعاصر الغزو وبدايات الاستعمار، دار الأمة، الجزائر، 2008، ص118.
[2] عز الدين بلعيدي، المرجع السابق، ص 79.

أمام المحكمة الجنائية التي تزعمها المعمرون الأوروبيون الذين مست الثورة البعض منهم ووجدوا في ذلك فرصة للانتقام.[1]

ونظراً للعدد الكبير من المشاركين في مقاومة 1871م، فإن السلطات الفرنسية اختارت محاكمة قادة المقاومة فقط والذين قدر عددهم 231 شخصاً، على رأسهم المقراني والشيخ الحداد اللذان سنذكر محاكمتهم فيما بعد.

1/ محاكمة عائلة الحداد:

أصدرت محكمة قسنطينة في حق 104 معتقل من بينهم بومرزاق والشيخ العزيز وأخوه مهد بن الحداد وعلى أوقاسي وغيرهم_ أحكاما بالنفي إلى مدينة نوميه بكاليدونيا الجديدة.[2]

أعتبر الفرنسيون إعلان الشيخ الحداد للمقاومة أخطر من المقاومة التي أعلنها الشيخ المقراني كما اتهموا سي مهد الحداد بالهجوم على الشيخ الموهوب بإيمولة وتخريب مزارع ومصانع المستوطنين بوادي الساحل، وهذا بشكل مستمر، وكذا العمليات الحربية التي قام

[1] نعيمة قنزاز، المرجع السابق، ص03.

[2] كاليدونيا الجديدة : جزيرة نائية بالمحيط الهادي الجنوبي على بعد 22 ألف كم من الجزائر، كانت تحت السيطرة الفرنسية منذ 1853، كان يرسل إليها الثوار الفرنسيين والخارجون عن القانون من المواطنين الفرنسيين ليسجنوا في معتقلات خاصة، وهذا منذ 1863، أنظر: علي بطاش، المرجع السابق، ص 168.

بها في الضفة الغربية لوادي الصومام، ومشاركة في حصار مدينة بجاية، واعترتبهم المحكمة مجرمين ولصوص وقطاع طرق لذا قامت تتسلط أقصى العقوبات عليهم.[1]

فيما يخص الشيخ الحداد زعيم الطريقة الرحمانية فقد صدر الحكم عليه يوم 19 أفريل 1873م، بالسجن الانفرادي بخمس سنوات، واقتيد إلى سجن الكودية بقسنطينة وهناك قال كلمته المشهورة: "إذا كان الفرنسيون أصدروا علي الحكم بخمس سنوات، فإن الله قدر لي خمسة أيام". ليلفظ أخر أنفاسه بعد عشرة أيام من الظروف القاسية للسجن عن عمر يناهز 83 سنة.[2]

2/ محاكمة عائلة المقراني:

البداية كانت مع بومرزاق، الذي صدر الحكم بإعدامه يوم 27 مارس 1873م، وفقا للقانون العام، باعتباره زعيماً للمتمردين بعد استشهاد أخيه محمد المقراني، وقد علق على الحكم يقول أنه يتحمل المسؤولية لكونه زعيم العائلة: وأن هذا الحكم الذي صدر في حقه كان قاسياً عليه وعلى عائلة المقرانيين، الذين نزحوا إلى تونس، عقب معركة عين الطبية بأقصر الصحراء الشرقية يوم 17 جانفي 1873م، التي اعتقل خلالها بومرزاق، وكان عددهم حوالي خمسمائة شخص، ينتمون إلى حوالي مائة عائلة صغيرة، ينتظرون حلا مناسبا للعودة إلى البلاد، التي تركوها مكرهين، لكن العدالة الفرنسية أردت غير ذلك.[3]

خفف الحكم بالنفي إلى نومية عاصمة كاليدونيا الجديدة كما ذكرنا سالفاً في محاكمة عائلة الحداد، بقرار عفو أصدره رئيس الجمهورية الفرنسية يوم 19 أوت 1873م، حيث

[1] يحي بوعزيز ثورة 1871م ...، المرجع السابق، ص ص 336_338.

[2] علي بطاش، المرجع السابق، ص169.

[3] يحي بوعزيز، ثورة الباشاغا ...، المرجع السابق، ص329.

عاش هناك، ولم يعد إلى الجزائر إلا في شهر جويلية 1904م، بعد حصوله على إذن بذلك عن طريق، فيه الوانوغي بومرزاق مفتي الأصنام آنذاك، ولم يطل به المقام سنة واحدة، فتوفي يوم 13 جويلية 1905م، ودفن بمقبرة سيدي مهد حالياً.[1]

المطلب الثالث: تهجير المقاومين الجزائريين نحو كاليدونيا

يعد هذا المطلب من أبرز النتائج التي آلت إليها سلسلة المحاكمات في حق المقاومين الجزائريين، والبدايات الأولى لعمليات التهجير والنفي خارج الوطن تحديداً إلى كاليدونيا الجديدة والذي يحمل عنواناً موضوعناً الذي سنقوم بالتطرق له والتفصلي فيه من أجل معرفة كيف قامت الإدارة الفرنسية بتنظيم هذه الحالات والهجرات القاسية على الجزائريين الذين كانوا يصعب عليهم تجرع مرارة الغربة خاصة بتلك الطريقة وترك الديار والأحبة حتى وان هاجروا في بعض الأحيان مع عائلتهم إلا أنهم لم يفقدوا ذلك الحنين والعودة إلى الوطن فيما بعد.

بعد فشل السلطات الفرنسية في كبح المقاومات الشعبية في كافة أنحاء الوطن ردا على التوسع الاستعماري، واجتياح الأملاك من خلال توظيف القوانين التعسفية في تأميم الأراضي ومنحها للمعمرين، لجأت إلى سياسات جديدة متمثل في النفي أو التهجير القصري لقادة المقاومات، من أجل نشر الخوف في نفوس القبائل الجزائرية ومنعها من المقاومة، وإعادة تنظيم المجتمع الجزائري بإزالة قادة القبائل والزعماء الدينية الذين كانت تراهم فرنسا المعرض الرئيسي للثورات.وذلك بإبعادهم عن الوطن واقتلاع أفكارهم التحريرية، حيث كان هدفها من هذه الخطوة خلق مجتمع خاضع للسلطة الاستعمارية، كما عملت على نزع روح التضامن والتحالف من المجتمع الجزائري لإبعاد كل أسباب المقاومة في وجه فرنسا،

[1] المرجع نفسه، ص333.

وكانت كاليدونيا الجديدة وخصوصا إقليم يواري الذي يعد أحد أهم المواقع التي هجر إليها المقاومون الجزائريون وعائلتهم وذلك كما ذكرنا سالفاً خاصة خلال فترة مقاومة الشيخين المقراني والحداد.[1]

حيث تم نقل هؤلاء المحكوم عليهم إلى السجون الفرنسية مثل تولون، بال إبل، أفينيون وكالفي، قبل نفيهم إلى كاليدونيا الجديدة. وتحركت أول سفينة والتي تحمل اسم (لالوار) في 5 جوان 1874 في ميناء درسن بفرنسا ووصلت في 16 أكتوبر 1874 إلى كاليدونيا الجديدة حاملاً 39 منفياً جزائرياً توفي منهم 5، أما سفينة (كالفادوس) فتحركت في 2 سبتمبر 1874 من النفس الميناء، ووصلت إلى الجزيرة في 18 جانفي 1875م، حاملة 62 منفياً جزائرياً، توفي منهم 3، وسفينة (لونافارين) انطلقت في 13 جوان 1876 من ميناء تولون، ووصلت في 6 جانفي 1877 إلى كاليدونيا تحمل منفيين جزائريين توفي منهما واحد، ونفس السفينة قامت برحلة أخرى في 1 أكتوبر من فرنسا، ووصلت في 24 جانفي حاملة 7 منفيين جزائريين.[2]

أما عن ظروف النقل إلى كاليدونيا الجديدة فكانت مزرية، والتي تسببت في وفاة عدد من الجزائريين، حيث كان الأكل غير متلائم مع عاداتهم الغذائية ولا يخضع للشروط الدينية، بالإضافة إلى الأمراض وطول مدة السفر التي دامت مابين 140 و150 يوماً بسبب المقاومة، وفيما يخص المنقولين كان إبراهيم بن مهد أول عربي يصل إلى الجزيرة سنة 1864م، ثم وصل في سنة 133.1868 عربياً.[3]

---

[1] محمد بن تزار، قراءة في ردود الفعل الفرنسية علي مقاومة 1871 خلال الوثائق الأرشيف النفي نموذجاً، " المجلة الجزائرية للدراسات الانسانية"، المجلد 07، العدد01، 2024، ص ص 100_101.

[2] محمد بن تزار، المرجع السابق، ص 103.

[3] الصديق تاوتي، المرجع السابق، ص189.

ووصلت أيضاً في 1874 وبداية 1875 بمجموعة من الجزائريين وعددهم 70 رجلاً إلى جزيرة الصنوبر وأضف لهم 20 أخرون سنة 1876، وبعد مقاومة الجنوب الوهراني (أولاد سيدي الشيخ) من 1881 إلى 1882 تم ترحيل 13 جزائرياً، وبقي النفي مستمرا إلى غاية مقاومة الأوراس الغربية في 1916.

وفي ظل الظروف المزرية والصعبة لاحتجاز الجزائريين وذلك قبل نفيهم إلى كاليدونيا، انتشرت الأمراض مثل السل وفقر الدم والتيفوئيد والإسقربوط أثرت هذه الأمراض على المنفيين خاصة الضعفاء وكبار السن، بالإضافة إلى وفاة بعض الجزائريين ودفنهم في مقبرة الموتى مع الشيوعيين.[1]

كان من بينهم مهد بن بلقاسم الذي توفي في 12 مارس 1874، وقبل وفاته أرسل إلى ماكماهون رسالة مكتوبة باللغة العربية يطلب فيها العفو عنه حسب ما ذكره رشيد بلال. لكنه رفض، ونجد أيضا الشيخ الإمام الحسين بن أحمد مولاي شفقة الزعيم الديني والعسكري الذي كان وراء مقاومة جيجل والعلمة، وقد توفي في 20 أفريل 1874 في يريست بعد أن ضعفته ظروف النقل والاحتجاز المروعة لما ذكرناه سابقاً، وحسب السيد مهد في لعلاوي فقد نجا سبعة عشر جزائرياً خلال الترحيل لأسباب معينة نقلوا إلى ثوارس في دائرة دوكوس سفر فيه توفي جزائريون آخرون شاركوا في انتفاضة 1871 وتوفي أحمد بن علي الصغير في 11 فيفري1875 وتله مهد بن الحسين في 15 مارس 1875 ثم الشابتي بن خليفة في 25 جوان 1875 وقد دفنهم أصدقائهم وفقا للعادات الإسلامية لكن سلطات السجن لم تسمح للمواطنين بمرافقتهم إلى المقبرة لتشييعهم إلى مثواهم الأخير.[2]

[1] عز الدين بلعيدي، المرجع السابق، ص80.

[2] الصديق تاوتي، المرجع السابق، ص189.

كان سجن القصر في توارس مكاناً كئيباً وغير صحي للاحتجاز وكان عزمة إلى أخطر الأمراض، توفي فيه عدد كبير في زمن قصير، وعى ذلك حول منه عدة سجناء منهم جزائريون إلى سجون أخرى في فرنسا في انتظار تعلمهم وبحسب جرمان ميلو فإن المحكوم عليهم بالترحيل من الجزائر وصلوا إلى مراكز الاحتجاز هذه في قوافل من عشرات الأشخاص، الأرشيفات المتعلقة بهم نادرة وغير دقيقة وغالبا ما يتم ذكرهم في التقارير فقط فيما يتعلق بالأحداث التي شاركوا فيها على سبيل المثل في 15 جانفي 1874 في كويلزن أثناء الصعود على متن السفينة أورم تم إنزال بعض المحكومين من السفينة لإفساح المجال للمحكومين الجزائريين تم جمعهما في قفص وقد ذكرت هذه الحقيقة في تقرير قبطان السفينة إلى وزارة البحرية أثناء توقفها في داكار للحصول على الإمدادات ويشير التقرير نفسه إلى مرحل جزائري توفي أثناء العبور.[1]

دامت هذه الرحلات مدة طويلة نحو الجانب الأخر من عالم مظلم ومصير مجهول، وقد تأذي المنفيون من البحر ومضايقاته، فقد كانت هذه أول تجربة لركوب البحر مدة طويلة إضافة إلى الخوف الذي وصفته مذكرات زميلهم السجين هنري روشفور، جعلهم أكثر هشاشة.[2]

يضاف إلى ذلك حقيقة أن النظام الغذائي على متن السفينة لم يكن يناسبهم أو يلبي متطلباتهم الدينية، حيث وجدوا صعوبة في التأقلم مع الاختلاط والحبس في أقفاص على متن السفينة بعد أن اعتادوا على المساحات الواسعة في مناطقهم الأصلية، وفقد معظمهم أي أمل في العودة فمتنعوا عن الكلام.[3]

[1] يحي بوعزيز، ثورة الباشاغا ...، المرجع السابق، ص115.
[2] يحي بوعزيز، ثورة البشاغا ...، المرجع السابق، ص277.
[3] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص493.

وقاموا بعبور البحر في عزلة وانطواء على أنفسهم وقبل الإبحار إلى كاليدونيا الجديدة خضع المنفيون إلى فحص طبي روتيني من قبل طبيب.[1]

تحفظ المبعدون الجزائريون عن أي شهادة عن ظروف نقلهم باستثناء بعض الترتيبات القليلة التي اتخذت بسبب ديانتهم فيما يتعلق بالطعام على متن السفينة، تم تزويدهم بمجموعة خاصة من الملابس التي تتناسب مع ملابسهم التقليدية كالبرنوس والقندورة والعمائم والطربوش وغيرها من الأشياء وعند استلام هذه الأغراض، سدد المبعدون للإدارة ثمن هذه الملابس التي لم تكن ملائمة للرحلات الطويلة والمناطق الرطبة والباردة التي كانوا يسافرون عبرها، واحتفظوا بها طوال فترة النفي أي في كاليدونيا الجديدة.[2]

وضع الجزائريون المنفيون محشورين في أقفاص سلكية على جانبي السفينة مفصولين عن بعضهم البعض، بينهم ممر مركزي، وخلال عمليات النقل هذه انتشرت الأمراض الخطيرة ويرجع ذلك إلى نقص النظافة وسوء نوعية المياه فأصيب العديد من المرحلين الجزائريين بداء الإسقربوط، وألقي الذين ماتوا في البحر دون أن تكون لهم جنازة أو يدفنون في قبور. يستطيع أهلهم أن يزوروهم فيها حيث يقدر عدد الموتى أثناء الرحلة ب 34 شخصاً.[3]

نقل المرحلون أولاً إلى وهران، حيث تم احتجازهم في السجن المدني في انتظار المغادرة إلى فرنسا وغادرت فرقة من تسعة وثلاثين مرحلا جزائريا في 8 جوان 1874 على متن ثوار وأخرى من اثنين وستين على متن سفينة لوكالفانوس في 02 سبتمبر 1874،

[1] عز الدين بلعيدي، المرجع السابق، ص86.

[2] الصديق تاوتي، المرجع السابق، ص111.

[3] جومان الميلي، ترحيل قرويي وثوار القبائل الكبرى إلى كاليدونيا الجديدة (1872_ 1876)، نشر الأستاذ أيت شلال، دار ومركز الإمام العالي ونشر التراث، باريس، 2013، ص223.

وصلت الأولى إلى كاليدونيا الجديدة في 17 أكتوبر 1874 والثانية في 19 جانفي 1875 وكان بومرزاق المقراني وعزيز بن الشيخ الحداد وبعض رفقائهم في المنفي ضمن الفوج الثاني.[1]

أما بالنسبة لحالات الوفيات فقد أرجع طبيب السفينة سببها إلى الحالة الجسدية والنفسية، وإلى الحرمان بسبب النظام الغذائي الذي لم يكن يتوافق مع تقاليد دينهم وإلى الظروف المناخية القاسية التي لم تكن معتادة بالنسبة لهم منها المناطق الباردة التي عبروها، وتوفي أربعة آخرون خلال الرحلة الثانية وهم مهد نايت موسى وأعلي نايت بوزيد وبوجمعة بن قارة عمور نايت عمارة توفي هذا الأخير عند وصوله إلى نوميا ونقل جثمانه إلى شاطئ من قبل أصحابه، وبعد يومين توفي علي بن طلاش وكانوا جميعهم أعضاء في مقاومة 1871 أدنيوا من طرف محكمة الجنايات بقسنطينة.[2]

عند الوصول قابل المنفيون منظراً مختلفاً وقاسياً غير مطابق في نهاية الخليج التابع لمدينة نوميا، فإلى اليمين في نهاية الخليج جزيرة NOU ومستودعاتها وسجونها ومراكزها العسكرية، وإلى اليسار ساحل مجوف شبه جزيرة DOCUS أما جزيرة lede pins مكان احتجازهم الأخير، يتواجد على بعد ثماني ساعات بالقارب من NOU MIA وفي أبعد مكان اختار تيير رئيس السلطة التنفيذية لكاليدونيا الجديدة لترحيل الثوار الجزائريين، وكان همه الوحيد هو أن يتم نفي هؤلاء المعارضين الرافضين الثائرين إلى أبعد مكان وبدون رجعة،

[1] المرجع نفسه، ص297.

[2] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص279.

ورغم الاعتدال المناخي للجزيرة معظم فصول السنة إلا أن الظروف أودت بحياة ما يقارب من خمسين مرحلا سنة 1873.[1]

كل هذا يدرك مدى وحشية الاستعمار ومرارة إبعاد الجزائريين عن الديار والأحبة لا سيما أنها جاءت في وقت وجيز ولم تكن في حسبان الجزائريين أنهم سيأتي يوم ويتركون أهلهم وأوطانهم وأن يتم إبعادهم بطرق يندي هما الجبين والتي من شدة وحشيتها وصعوبة تجرعها توفي الكثير من الجزائريين سواءً أثناء الرحلة إلى كاليدونيا أو في بدايات الأولى لوطأت أقدامهم تلك الجزيرة الشنيعة، وهذا ما يبين لنا صعوبة التأقلم والعيش داخل هذا الحبس الكبير في المحيط الهادي.[2]

خلاصة:

[1] سمير نور الدين دردور، جريمة الابعاد القسري في ظل القانون الدولي الانساني ابعاد الجزائريين إلى كاليدونيا الجديدة نموذجا، شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات، ص04.

[2] عميراوي أحميدة، موضوعات من تاريخ الجزائر الساسي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2003، ص116.

أما في ختام المبحث فإنه يمكن القول أنه تطرقنا في هذه الورقة البحثية إلى البدايات الأولى للتهجير والنفي الذي تعرض له الجزائريون نحو كاليدونيا الجديدة، وما تعرضوا له من تعذيب وعسر الرحلة التي أودت بحياة الكثيرين منهم في قاع البحر بالإضافة إلى الأمراض النفسية والكآبة التي أصبحوا عليها والتي جعلت نسبة كبيرة منهم فقدوا الأمل في العودة إلى الديار والإصابة باليأس وبتالي الدخول في دوامة مشاكل يصعب الخروج منها.

المبحث الثالث: مراكز استقرار الجزائريين بكاليدونيا

شكل النفي إلا كاليدونيا الجديدة أحد أوجه السياسة الاستعمارية الفرنسية الرامية إلى إخماد روح المقاومة في الجزائر خلال القرن التاسع عشر، حيث تم إبعاد المئات من الجزائريين، لا سيما بعد مقاومة المقراني سنة 1871، إلى هذه المستعمرة النائية البعيدة المتواجدة في المحيط الهادي، وقد وجد هؤلاء المنفيون أنفسهم في بيئة جديدة وصعبة، فرضت عليهم ظروف إقامة قاسية وواجهوا تحديات جمة في محاولتهم الحفاظ على هويتهم الثقافية الدينية، ورغم المعاناة لم يكن وجودهم هناك سلبيا، إذا انخرطوا في أنشطة مختلفة وساهموا في تشكيل ملامح الحياة الاقتصادية والاجتماعية في تلك البلاد، وتبقى سياسة الإبعاد هذه ذات آثار بعيدة المدى، إذا لم تقتصر على المعاناة الفردية في حينها، بل امتدت انعكاساتها إلى الأجيال اللاحقة وهذا ما يطرح تساؤلات عميقة حول الذاكرة التاريخية لهؤلاء الأحفاد من أصل جزائري ومكانتهم في رواية التاريخ المشترك بين الجزائر وفرنسا.

وعليه نطرح التساؤل التالي:

كيف كانت ظروف وأوضاع هؤلاء المنفيين الجزائريين في كاليدونيا الجديدة؟

المطلب الأول: ظروف الإقامة (البيئة في مستعمرة الفرنسية الكاليدونيا الجديدة)

أوضاع المنفيين الجزائريين إلى جزيرة كاليدونيا الجديدة في أعقاب قمع انتفاضة عام 1871 لحظة مفصلية في مسار معاناتهم، حيث انتقلوا من واقع الاحتلال والقمع في وطنهم إلى واقع النفي والعزلة في أرض غريبة ومعزولة في أقصى المحيط الهادئ وأين عانوا من العزلة والمراقبة المشددة والسكن الإبتدائي والعمل الإجباري، وقد واجهوا تحديات مناخية وثقافية صعبة وسط محاولات فرنسية لطمس هويتهم، ورغم ذلك أظهروا صمودا في الحفاظ علة مقاوماتهم.

يعد البعد الاجتماعي والثقافي من أبرز الجوانب التي تظهر معاناة الجزائريين المنفيين في كاليدونيا الجديدة، فقد حاولوا الحفاظ على دياناتهم الاسلامية وممارسة شعائرهم رغم الظروف القاسية، وتمسكوا بعاداتهم وتقاليدهم التي حملوها معهم من الوطن، ومع مرور الوقت ظهرت تغيرات على مختلف هذه الأوضاع بسبب إضطرارهم إلى الإندماج في أوضاع المجتمع المحلي.

فكانت الحياة جد صعبة على الرجال المنفيين وذلك بسبب غياب النساء حيث اضطروا إلى تأسيس عائلات في المنفى الذي أصبح مأواهم الثاني والأخير مما دفع بالكثير منهم إلى الزواج من نساء فرنسيات، وبعد ذلك أجبرت فرنسا الأهالي على إضافة أسماء مسيحية لأطفالهم للحصول على الحقوق المدنية مما جعل الهوية الجزائرية تضاعف تدريجيا ويزداد

التنصير داخل المجتمع المختلط وهكذا عجز الرجال عن الاحتفاظ بالثقافة والهوية الجزائرية.[1]

أما الزواج فبمجرد أن يتحرر صاحب الامتياز العربي، يرغب في الزواج وبما أنه من غير الممكن أن يتزوج بإمرأة من عرقه، فإنه يتوجه إلى معبد الأخوات "سانت جوزيف" في "بوراوي" لما تمليه العادات يختار الزوجة التي سيقترن بها بعد بضع زيارات، وغالبا ما تكون هذه الزوجة ذات أفكار مشكوك فيها، ولذلك يجد الجو المناسب لإشباع رغباته، كما أن المغامرون يستغلون ذو لسمعة السيئة هذا الوضع في "نيساديو" ويستعينون بالنساء للحصول على ما يرغبون فيه، أما النساء اللواتي أقل حظا وتجنبن هذا القدر المشؤوم فيقضين وقتهن في العمل بالمزارع أو في رعاية الأطفال الذين يعيشون في أكواخ قذرة.[2]

وكما ذكرنا فإن نفي المحكومين كان يشمل أيضا النساء لكن سواء بالنسبة للفرنسيين أو الجزائريين لكن الجزائريات كانت قليلات، ولهذا فإن مشروع الحكومة الاستعمارية الذي كان يهدف إلى تطوير المستعمرات العقابية.

تضمن إحضار عائلات المنفيين، لكن الأمر اقتصر فقط على المحكومين السياسيين الفرنسيين هم فقط من يحق لهم الحصول على حضور أزواجهم وأولادهم بالنسبة للجزائريين فلم تذكر الدفاتر أي إمرأة أو طفل تم ترحيله باتجاه كاليدونيا الجديدة.[3]

أ/ الزواج:

[1] جزائريو جزيرة كاليدونيا أو عرب كاليدونيا، اتحاد النسبيين العرب أكبر موقع في الأنساب 06.08.2020 05$: 10.06/05/2025=?86751 http// :www.athassabon.com/dhowthoad.php

[2] الصديق تاوتي، المرجع السابق، ص ص 167-168.

[3] العربي عمر، المنفيات الجزائريات إلى المستعمرات الفرنسية 1835-1898م، "مجلة عصور الجديدة"، المجلد 13، العدد 2، جامعة وهران 1، (الجزائر)، 2023م، ص 267.

كان الجزائريون في الغالب يتزوجون من نساء فرنسيات وغالبا ما كن من اليتيمات أو المنفيات السياسيات، سواء في باريس أو في قسنطينة، وقد قام الجزائريون بتعميم العادات والتقاليد الجزائرية على زوجاتهم الفرنسيات من حيث اللباس والمأكولات مثل الكسكس وشربة البربوشة، وغيرها.[1]

ب/ الديانة:

الأمر المؤكد هو أن أوائل العرب من أصحاب الامتياز لم يتخلوا عن دينهم:

- كانوا يؤيدون فريضة الصلاة خمس مرات في اليوم وعلى الوجه المطلوب.
- كانوا يرفضون شرب الخمر، كما يمتنعون عن أكل لحم الخنزير في جميع الأحوال.
- كانوا يرفضون التعميد ويتجنبون أيضا تعميد أبنائهم.

وقد شكلوا مجتمعا متميزا، حافظ على تقاليده، ووقف بوجه موجات الإجرام التي اجتاحت مدينة "نيسادو" كما ورثوا بعض العادات التي تزال تمارس حتى اليوم، مما جعل البعض يطلق على تلك المنطقة اسم "إفريقيا الصغيرة".[2]

ت/ التعليم:

فتح تعليم مختلط للأطفال العرب في سنة 1928، ولكن النتائج كانت مخيبة للآمال وذلك راجع إلى:

- جفاء الأولياء.
- غياب الدوافع بسبب كون التعليم باللغة الفرنسية.

[1] محمد بن تزار، وآخرون، المرجع السابق، ص ص 107-108.
[2] الصديق تاوتي، المرجع السابق، ص 169.

- عدم الاستقرار العام في قطاع التعليم.[1]

ث/ الدفن:

كثيرون من المنفيين الذين لم يعودوا إلى أرض الوطن، تزوجوا وتركوا أعدادا كبيرة من الأولاد والأحفاد في كاليدونيا الجديدة.

وفي هذا المكان نجد قبورا موضوعة قرب بعضها، ولا تحمل أسماء، وكان هؤلاء العرب يضعون صندوقا من الحطب في المقبرة، بالقرب من النخلة المزروعة هناك، وذلك لحماية الموتى، وكانوا يغسلون الجثث وينظفونها جيدا، ثم يلفونها في قماش دون أي ملابس أخرى أو أدوات زينة، ويحضر القبر بعناية بحيث يغطى الميت جيدا بالتراب، حسب الأعراف.

وكان الجسد يوضع على الجهة اليمنى، والرأس نحو مكة شروق الشمس يعني باتجاه القبلة، ثم يأتي الإمام ليصلي عليه، وأحيانا كانوا ينتظرون حتى اليوم الموالي لدفن الميت.

وكانت القبور لا تحمل أي مظاهر زينة، لأنها تعتبر في المذهب الإسلامي تواضع واحترام للميت.[2]

ج/ العادات والتقاليد:

[1] أمال مهداوي. وردة عطايلية، انتفاضة 1871م وأثرها الاجتماعي على الجزائريين النفي إلى كاليدونيا الجديدة "أنموذجا" مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة قالمة، الجزائر، 2021-2022م، ص 55.

[2] نعيمة قنزاز، المنفيون الجزائريون إلى كاليدونيا الجديدة وقويانا بعد ثورة (1871) دراسة تحليلية لكتاب المبعدون الجزائريون إلى كاليدونيا الجديدة، مأساة هوية منفية: أبعاد ونتائج ثورة المقراني والشيخ الحداد، للدكتور الصديق تاوتي، رسالة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، علم الاجتماع الثقافي، جامعة الجزائر، الجزائر، 2014-2015م، ص 238.

إن غياب النساء في صفوف العرب أكيد أنه ساهم في تغييب العادات الأساسية مثل: الغناء واللباس.... وغيرها.

وكانت عملية الختان تقام بطقوس وشعائر خاصة، واستمرت على هذا النحو إلى غاية السنوات الأخيرة، أما اليوم فهي تتم في المستوصف، وقد فقدت بذلك طعمها ومعناها الرمزي.

وكان الزواج في السابق يعتبر حدثا كبيرا يقام له احتفال ضخم بدعوة جميع العرب وكل أصدقاء المنطقة، وبهذه المناسبة كان يذبح الدجاج والثيران وكان الفرسان يرافقون العريسين إلى المدينة، وحسب العادات يقوم الفرسان باستعراضات فروسية خلال مأدبة العشاء، كما يقوم المدعون بجمع التبرعات.[1]

ح/ الزردة السنوية:

هي طقس شعبية يتمثل في ذبح العجل الأسود غالبا في منطقة بني يزقن وهو يختلف عن الذبح التقليدي في الأعياد، يهدف هذا الطقس إلى تحقيق البركة والوفرة ويعتقد أن له أصلا في الطقوس الوثنية القديمة المرتبة بالخصوبة وتمارس الزردة السنوية لأغراض متعددة منها الوفاء بنذر أ طلب الشفاء أو طلب البركة.[2]

خ/ الصدقة:

تقام الصدقة في كل مرة تمر فيها الأسرة بظرف صعب أو عندها ترغب في الوفاء بنذر أو طلب الشفاء وهي تمثل فرصة لتقديم الشكر والامتناع على نعمة أو تجاوز محنة،

[1] أمال مهداوي، وآخرون، المرجع السابق، ص 56.

[2] نعيمة قنزاز، المنفيون الجزائريون....، المرجع السابق، ص 240.

وينظر إليها كوسيلة للتقرب من القوي الغيبية، حيث تقوم العائلة بإعداد الطعام وتقديمه في أجواء احتفالية، ينحر في هذه المناسبة خروف أو عجل، بحسب القدرة، ويدعى إليها الأقارب والجيران، وتأتي هذه الممارسة ضمن سياق أوسع من العادات والتقاليد التي تعلي من شأن التواصل مع العالم الغيبي لضمان التوازن والرخاء.

د/ الوزيعة:

تعد من الأعراف السائدة، والتي تقام في الأصل في المناسبات الأليمة، أي عند وفاة أحد الأفراد، والجماعة هي التي تقرر موعد هذه الوزيعة، ففي بلدية بوغان ونيساديو ينظم ذبح الحيوانات من خلال قوانين مجلس القدامى وهذا التجمع هو الذي يأخذ على عاتقه حق الوزيعة سواء من خلال الإدخار المشترك أو إهداء الحيوان، ويقدم هذا حسب إمكانياته، ولكن فعل العطاء أو دفع الحق هو إجباري في الوزيعة، الشيء الذي يؤسس أيضا لروح التضامن لإقحام الجماعة في مرحلة من حق العرف الإجباري والذي لا يملك حق الوزيعة عند إقامتها عليه تسديدها فيما بعد للجماعة أو أن يسدد ثمنها أفراد عائلته، وكانت كل الذبائح تقام يوم الخميس ويتم استهلاكها في اليوم الموالي أي يوم الجمعة.[1]

ذ/ الولي الصالح والزاوية:

في عام 1886 قام المنفي "ميلود بن العبد الله" بالتبرع بـــ 1,18 هكتار من أرضه لبناء مقبرة جنوب منطقة بوراي تضم ضريح "سيدي موالي" أحد المرابطين العرب القدامى، يقع هذا الضريح في قلب قبة صغيرة بيضاء بنيت بأسلوب بسيط يرمز إلى التواضع والزهد، وهو نمط شائع في أضرحة الأولياء الصالحين بشمال إفريقيا. وقد تحول هذا المكان إلى موقع مقدس يمارس فيه السكان شعائر روحانية مثل الذبائح والولائم في مناسبات دينية،

[1] محمد بن ترار، وآخرون، المرجع السابق، ص ص، 110، 111.

كما أحيط الضريح بـــ "زاوية" تؤدي دورا دينيا واجتماعيا، إذ تحمي أتباعها وتحافظ على هويتهم الإسلامية، خاصة في ظل ظروف النفي وقد ظهر هذا الضريح شمن سياق سياسي وديني مهم إذا يعود معظم المنفيين بعد ثورة 1871 إلى الطريقية الرحمانية، وعلى رأسهم أبناء الشيخ الحداد، وكانت الطريقة تمثل تنظيما دينيا يوحد العرب والأمازيغ تحت راية واحدة رغم اختلافاتهم، مما ساهم في الحفاظ على تماسكهم وهويتهم الجماعية في المنفى.

أما الزاوية فقد تأسست من طرف المنفيين الأوائل في 1891، والتي أصبحت مكانا للتجمع أين يعلم الشيوخ المنفيون تعاليمهم الدينية، وكان هؤلاء المرابطون يبقون سبعة أيام أمام قبر الصالح يصلون ويذكرون الله.[1]

تأسست هذه الجمعية في سنة 1967 والتي تمحورت أهدافها فيما يلي:

- الحفاظ على العادات.
- رعاية مقابر العرب في "نوميا" و"نيسادو".
- توحيد شمل العرب.

انخراط في هذه الجمعية 167 فردا سنة 1975 على النحو الآتي:

- عرب بوراي حوالي 60 فردا.
- عرب نوميديا حوالي 50 فردا.
- أصدقاء العرب حوالي 60 فردا.[2]

[1] نعيمة قنزاز، المنفيون الجزائريون...، المرجع السابق، ص ص 237-238.

[2] أمال مهداوي، وآخرون، المرجع السابق، ص ص 57، 58.

وعليه نستنتج أن المجتمع العربي قد عاش في الإقليم مهمشا لأسباب يدركها الكل، ورغم ما يمكن اعتباره تصرفات للدفاع عن الشخصية فقد سار مسارا طويلا في الإدماج.[1]

السياسة الاستعمارية في تنصير أبناء المنفيين:

في منطقة "بوراي" التي كانت يقطنها العديد من الجزائريين، لوحظ وجود اتحاد وتلاحم قوي بين الجزائريين وزوجاتهم الأوروبيات وذلك بهدف الحفاظ على التقاليد الجزائرية والدين الاسلامي، وفي المقابل كانت الإدارة الاستعمارية تحاول من خلال تأسيس دور العبادة والكنائس أن تخضع أطفال المنفيين في هذه المستعمرة لتربية مسيحية مصحوبة بثقافة قوية وشاملة، ولكن كما هو الملاحظ فإن هؤلاء المنفيين رفضوا تعليم أبنائهم التربية المسيحية، ووقفوا موقفا ثابتا في وجه التنصير رغم ذلك لم تيأس الإدارة الاستعمارية من هذا المشروع وظلت تحاول تطبيقه على سلالة المنفيين (أي أبنائهم وأحفادهم)، ومع هذا فإن المشروع لم يتحقق ولم تنجح نظرية الإحياء والتجديد في الثقافة المسيحية مع المنحدرين من أصل جزائري وذلك لعدة أسباب منها:[2] وهي أن العديد من أبناء المنفيين الجزائريين لم يكونوا على دراية واسعة بوطنهم الأم، فإنهم ظلوا متمسكين بدينهم الاسلامي، مما شكل عقبة أمام السياسة الاستعمارية الفرنسية التي سعت إلى تنصيرهم خاصة في صفوف الجيلين الثاني والثالث، عملت السلطات على فرض التعليم المسيحي داخل المدارس، وإجبار الأطفال على حمل أسماء مسيحية بهدف فصلهم عن جذورهم الثقافية والدينية وتحويلهم إلى مستوطنين موالين، وقد وجهت هذه السياسات بوعي ومقاومة حيث فضل بعض الأطفال الجزائريين الهروب إلى الجبال رفضا للتنصير، كما عبر أحد الأحفاد عن تجربته قائلا إنه رفض إعتناق المسيحية واختبأ لأيام حفاظا على دينه، ورغم الضغط المتواصل استطاع

[1] الصديق تاوتي، المرجع السابق، ص 173.

[2] نعيمة قنزاز، المنفيون الجزائريون...، المرجع السابق، ص ص 249-250.

الجزائريون الحفاظ على هويتهم الثقافية والدينية ومقاومة محاولات الطمس والتذويب التي استهدفت أبناءهم.[1]

ر/ ركوب الخيل:

إن الذين تم تهجيرهم إلى كاليدونيا الجديدة رغم أن معظمهم كانوا فلاحين، لكن مشاركتهم في الثورة ضد الاستعمار كانت السبب الحقيقي لنفيهم مما يعكس شجاعتهم وخبرتهم في ركوب الخيل فقد كان الكثير منهمفرسانا مهرة، لا سيما أولئك الذين دربوا سابقا ضمن فرق الصبايحية التي أنشأتها الإدارة الاستعمارية في الجزائر وقد حرص هؤلاء المنفيون على نقل تقاليد الفروسية إلى أبنائهم، حيث بدأ تعليمهم ركوب الخيل منذ سن مبكرة ويصف أحد الأبناء هذه التجربة قائلا: "كانوا آباؤنا يضعوننا على ظهور الخيل منذ الصغر ويجتازون بنا جبال المنطقة بسهولة بين بوغان ونيساديو" ولم تكن الخيول وسيلة تنقل فحسب بل كانت رمزا للهوية، ورفيقا دائما في الحياة كما كانت احتفالات الفروسية أو ما يعرف بـــ"الفانتازيا" تشكل مناسبات اجتماعية بارزة تجمع سكان المناطق، خاصة في الأعراس الختان أو الأعياد الدينية، حيث تنظم سباقات الخيول وتقام المنافسات بكل فخر اعتزاز.[2]

المطلب الثاني: نشاطهم

منذ اللحظة الأولى لوصول المنفيين الجزائريين إلى كاليدونيا الجديدة لم يعاملوا كمجرد سجناء سياسيين، بل صنعوا من طرف الإدارة الاستعمارية كمتمردين وعناصر خطيرة تهدد الاستقرار والنظام العام، وقد تم تصويرهم بأبشع الصور، اعتبروا في أدنى

[1] الصديق تاوتي، المرجع السابق، ص ص 170، 171.

[2] نعيمة قنزاز، المنفيون الجزائريون...، المرجع السابق، ص ص 252-252.

درجات السلم الاجتماعي، مما أدى إلى حرمانهم من أي امتيازات أو حقوق، بما في ذلك الحق في امتلاك الأراضي أو الاستفادة منها.

فكانت أوضاعهم في بداية الأمر صعبة للغاية، خاصة مع ازدياد عددهم داخل المراكز العقابية، حيث فرضت عليهم ظروف قاسية، تعكس السياسة الفرنسية القائمة على العزل والتهميش من إعادة الإدماج أو المعاملة الإنسانية.[1]

كما سعت فرنسا إلى إنشاء نمط عمراني في كاليدونيا الجديدة وقد اطلعت في سير الجزائريين المنفيين على العقوبات التي فرضت عليهم بسبب مقاومتهم للاستعمار، حيث تم استغلالهم بطريقة غير انسانية.[2]

وكان المنفيون يجبرون على العمل في بناء الطرقات وهو أشق الأعمال خلال فترة التهجير[3]، وقد نقل ست مائة منفي من معسكر "مونرافيل" وسجن "نو" وتم توزيعهم على جزء من الطريق الواقع بين منطقتي "بياتا" و"بولباري" قسم هؤلاء إلى مجموعات يتراوح عدد أفرادها بين خمسين وستين رجلا.

وأرسلت كل مجموعة إلى ورشات الأشغال في مناطق مثل: بايتا، سوالر، شيين وغيرها، وفي أقصى الجنوب تم بناء أكواخ مغطاة بقشور أشجار النياولي شبه إلى حد كبير الأكواخ التقليدية.

كان يتم إرسال جميع الرجال الذين تبدأ عقوبتهم بالأشغال الشاقة إلى هذه الورش، وكان هذا النوع من العمل يعد بالنسبة للمنفيينذوي السلك الحسن هو الطريق الأكيد نحو

[1] آمال مهداوي، وآخرون، المرجع السابق، ص 52.
[2] جرمان ميلي، المرجع السابق، ص 410.
[3] عز الدين بلعيدي، وآخرون، المرجع السابق، ص 80.

الحصول على المكافآت والترقيات، إضافة إلى فرص العفو، وأفضل ما يمكن أن يناله المنفي هو امتياز الحصول على قطعة أرض، ولم يكن مشكل النفي في حد ذاته كبيرا بقدر ما كانت معاناة الانتظار طويلة لإطلاق السراح، بعد أن فقدوا الأمل في العودة إلى أوطانهم، وعليه كان وضع المنفيون تحت وصاية بعض المستوطنين للعمل في الفلاحة، تمهيدا لاستغلالهم لاحقا في خدمة الأراضي، ولتحقيق ذلك كان من الضروري التسجيل أولا في أشغال بناء الطرقات.[1]

وإنجازها كالطريق الوطني بالعاصمة "نوميا" وبناء المنارات والحواجز والثكنات والمباني العمومية ففي الفترة الممتدة بين 1870 و1875 تم توصيل شبكة المياه من "Yahoni" حتى Nouméa على امتداد 12 كلم وإنجاز شبكة التلغراف على امتداد 600 كلم، وهذه الإنجازات الكبيرة أنجزها المنفيين ومنهم بالطبع الجزائريين.[2]

كما أن هؤلاء المنفيين الجزائريين تم معاملتهم بأشد قسوة وخاصة من طرف مسؤول سجون الأعمال الشاقة أن في هذه السجون بلغ حدا لا يطاق من التعسف.[3]

وقد أطلقت إدارة السجن مشاريع بنية تحتية كبرى شارك فيها بعض المبعدين وحصلوا على مبالغ رمزية وتم بناء مستشفى وطرق زبرج مياه ومزرعة تجريبية وورش عمل ولم يتم إجبار المبعدين على العمل الشاض بعد نهاية العقوبة ولكن تم تشجيعهم وحثهم على تحقيق الإكتفاء الذاتي من أجل كسب قوتهم بأنفسهم، وكانت تربية الماعز جزءا كبيرا

[1] جرمان ميلي، المرجع السابق، ص 410.

[2] سليمة بودخانة، نفي رواد المقاومة الجزائرية إلى الخارج من 1830 إلى 1871، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2004-2005م، ص 188.

[3] عبد الكريم قرين، جرائم الاستعمار الفرنسي (معتقل كاليدونيا أنموذجا)، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، المجلد 05، العدد 02، جامعة قالمة، الجزائر 2020، ص 101.

من أنشطتهم اليومية، وكتب عنهم هنري ريفير قائلا: "يمكنك أن تراهم يتجولون هنا وهناك مستسلمين رزينين تحت برانسهم البيضاء الطويلة المربوطة عند الرأس بحبل مصنوع من وبر الإبل عيونهم تحتفظ بلهيب لطيف نصف منطفئا يقدمون التحية عند مرور رئيس فرنسي مع التواضع الوقور لهم وفي المساء يسجدون في مغيب الشمس يقبلون هذه الأرض التي هي عدوهم لكنها ليست أقل أرض الله".[1]

وكان هؤلاء المنفيين قريبا يشتغلون في كل الأشغال مثل تنظيف الأواني وكذا الأشغال في المناجم (مناجم الذهب)، أما ذو السلوك الجيد وكبار السن والمرض يعملون كخدم في المستشفيات أو في خدمة داخلية في السفن، وكان منهم من يعملون في المكاتب والبعض الآخر يشارك في صناعات معينة كالقبعات المنسوجة والصنادل، في حين كانت الوجبة اليومية التي يتناولوها يوميا فهي الماء والخبز.[2]

المطلب الثالث: صدور قرارات العفو

1. دور بومرزاق للحصول على العفو من خلال مشاركته في ثورة الكاناك:

كان لبومرزاق المقراني أحد قادة ثورة 1871 في الجزائر دورا بارزا في أحداث ثورة الكاناك التي اندلعت في كاليدونيا سنة 1878، بعد نفيه إلى هذه المنطقة مع ضمن المنخبين الجزائريين، وقد شكل بومرزاق مجموعة من المنفيين ضمن قرابة 40 شخص، تولى قيادة هذه المجموعة التي كانت تضم أيضا بعض المحكومين الآخرين.[3]

[1] عز الدين بلعيدي، وآخرون، المرجع السابق، ص ص 81-82.

[2] سعدي مزيان، السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها 1871-1914، دار السنحق للكتاب، د.ط، 2010م، ص 157.

[3] آمال مهدي، وآخرون، المرجع السابق، ص 58-59.

وفي 25 جويلية 1878 قاد بومرزاق هجوما على قرية "دوجيني" التي كانت تحت سيطرة زعيم من زعماء الكاناك وأسفر الهجوم عن مقتل هذا الزعيم مما ساهم في إشعال ثروة الانتفاضة الكبرى للكاناك.[1]

وقد أظهر بومرزاق ولاءه للسلطات الفرنسية من خلال مشاركته الفعالة في قمع الثورة، حيث لعبت مجموعته دورا مساندا للجيش الفرنسي، وذلك من خلال مساندة الجنود الفرنسيين وقد أتيحت له فرص متعددة لتقديم خدماته، مما عزز مكانته لدى السلطات الاستعمارية، ورغم تلك الجهود التي قام بها بومرزاق إلا أنه لم يتحصل على العفو الكامل بل اكتفت السلطات الاستعمارية بتحقيق القيود المفروضة عليه وعلى رفاقه عبر منحهم حرية التنقل والإقامة دون السماح لهم بمغادرة كاليدونيا الجديدة،وقد كان هذا حال بومرزاق الذي استقر في مدينة نوميا منذ عام 1880 وظل ينتظر فرصة العودة إلى الجزائر دون جدوى، وقد اعترف الوزير الفرنسي بمساهمة بومرزاق مؤكدا في سبتمبر 1882 أن بومرزاق المقراني قاتل إلى جانب فرنسا على رأس مجموعته وساهم في قمع التمرد.[2]

وفي سنة 1892 أقدم السيد لوهناف (Launav) على تقديم تقريرا والذي أصبح في 52 صفحة، وذلك من أجل إثبات فيه لا شرعية النفي وذلك بعد تحليله لحيثيات الدقيقة لقانون 1880، حيث وزع على نواب بعد رفعه دعوى بمعية الكومنار ضد الإدارة العقابية بكاليدونيا الجديدة بإسوكل من أحمد بومرزاق وأحمد بن الفتح المسعود وعلي بن محمد أوقاسي وبقية المنفيين، إلا أن هذا القرار لم يتم تفعيله حتى سنة 1895م، وعليه نقول الفضل كله يعود إل السيد لوهناف.[3]

---

[1] سليمة بودخانة، المرجع السابق، ص 189-190.

[2] يحي بوعزيز، ثورة الباشا المقراني ...، المرجع السابق، ص 333.

[3] سعدي مزيان، المرجع السابق، ص 159.

أما بخصوص بومرزاق برغم من كل ما قدمه إلا أنه يتحصل على العفو الذي كان يطمح ويسعى إليه، حيث أن قانون العفو العام الصادر في 1895 لم يشمله بل استثناه مع مجموعة آخرين من المنفيين أمثال علي أمزيان نايت والشيخ حسين محمد أو لحسين.[1]

وفي فيفري 1896 صدر العفو أخيرا عن بومرزاق المقراني ولكن السيد فيليكس فور (Félix Faure) الحكم العام للجزائر لم يسمح بالدخول إلى الجزائر وبقي محبوسا بطريقة غير شرعية وكان بومرزاق كل سنة يجدد طلبه بالعودة إلى الجزائر، لكن طلبه كان يلاقي دائما بالرفض من طرف سنة 1904، وقد كتبت جريدة الجمهورية الفنية عن وصول بومرزاق المقراني إلى مارسيليا يوم 2 جويلية 1904 في باخرة تضم 190 شخصا، وكان سن المقراني آنذاك 75 سنة، وقد بقي في المنفى 30 سنة، لكنه لم يعيش طويلا بعد عودته إلى الجزائر، إذ توفي رحمه الله في جويلية 1905[2]، أما بقية المنفيين فهناك من عاد إلى البلاد بعد صدور قرار العفو وهناك من فضل عدم الرجوع والذي كان له أثر كبيرحول نشر الإسلام في كاليدونيا الجديدة. [3]

2. العفو عن الجزائريين المنفيين ودور ثوار كومونة باريس في تحقيقه:

صدر أول قرار عفو عام 1879 في شهر أفريل، لكنه كان جزيئيا ثم تبعه عفو آخر في 11 جويلية 1880، استفاد منه بشكل أساسي ثوار كومونة باريس، بينما تم استثناء المنفيين الجزائريين منه بشكل معتمد، حيث تم تجاهل قضيتهم وكأنهم أصبحوا في طي النسيان، فقد كانت هناك نية مسبقة لترك الجزائريين في معناهم في كاليدونيا الجديدة دون

[1] الصديق تاوتي، المرجع السابق، ص 151.

[2] نعيمة قنزاز، التهجير القسري....، المرجع السابق، ص 07.

[3] منال عبيبس، حفصة شياخ، سياسة الإبعاد والنفي إبانة الاحتلال الفرنسي للجزائر، 1872-1900- المبعدون إلى كاليدونيا الجديدة نموذجا، مذكرة ماستر، التاريخ، تاريخ المغرب العربي المعاصر، جامعة أدرار، الجزائر، 2021-2022، ص 76.

الإلتفات إلى أوضاعهم أو العمل على إعادتهم إلى وطنهم في ظل صمت رسمي مطبق اتجاه مصيرهم وإزاء هذا التهميش، بدأت إدارة السجون في اتخاذ إجراءات بحق بعض المعتقلين الجزائريين، فنقلتهم إلى معتقلات "نيساديو" و "بورايين" خاصة بالنسبة لأولئك الذين كانوا يعرفون بين المنفيين بأنهم الأكثر نشاطا وتأثيرا في المطالبة بحقوقهم.[1]

فقد سعى المنفيون الجزائريون جاهدين للحصول على العفو تزامنا مع الحملة التي أطلقها ثوار باريس للمطالبة بالعفو العام، إلا أن نيل هذا الحق لم يكن سهلا بل تحقق بعد سنوات طويلة من المعاناة والنضال المستمر، حيث سنة 1895 أين بدأ ينظر فعليا في ملفاتهم.[2]

رغم صدور عفو عام 1880 إلا أن الجزائريين لم يدرجوا ضمن المستفيدين منه فقد كان واضحا أن القرار استثناهم عمدا، رغم أن شخصيات بارزة مثل روشفو (Rocheford) ولويز ميشال (Louis Michel) قد طالبوا في 29 أوت 1880 رفقة 1500 شخصية فرنسية بإدراج الجزائريين ضمن المستفيدين من العفو رافعين شعار "أعطو في قريتي".

لكن البرلمان الفرنسي رد بالرفض مدعيا أنه لا يوجد أسرى سياسيوم جزائريون في كاليدونيا الجديدة، وهو ما اعتبره الجزائريون ظلما واضحا فواصلوا الاحتجاج ورفعوا العرائض المطالبة بحقهم في العودة إلى وطنهم.

في ظل هذا التجاهل اضطر بعض المنفيين إلى التوسل بالمرض أو الموت في سبيل العودة، فكانوا يقولون "أنا مريض... أريد أن أموت في بلدي"، ورغم ذلك ظلت طلباتهم

[1] مريم بلحاج، المرجع السابق، ص 37-38.

[2] نعيمة قنزاز، المنفيون الجزائريون...، المرجع السابق، ص 222-223.

تقابل بالرفض، إذا كان ينظر إلى عفو 1880 باعتباره مخصصا فقط للفرنسيين دون غيرهم.[1]

وعندما عاد "روسفور" إلى باريس سنة 1886 أسس أول حركة جماهيرية في فرنسا تطالب بالإفراج عن المحكومين الجزائريين، وقد نسج خلالها علاقات صداقة قوية مع قادة ثورة 1871 مثل عبد الله بن عمي الشابي الشريفي عضو زاوية الرحمانية[2]، وقد وصف "روشفور" هذه العلاقة بقوله "أقمت في أوليفروت روابط مع المسؤولين العرب، لأني كنت أطلب لهم العفو، وكنت أرى فيهم رجالا يستحقون الحياة والحرية".

وكانت هذه الروابط قوية إلى درجة أن بعض المنفيين الفرنسيين كانوا يشتكون من اهتمام روشفور الزائد بالمنفيين الجزائريين مقارنة بمواطنيه الفرنسيين.[3]

3. تنامي قرار المنفيين الجزائريين من كاليدونيا الجديدة (سي عزيز ابن الحداد نموذجا):

نتيجة للاجراءات التعسفية التي فرضت على الجزائريين المنفيين إلى كاليدونيا الجديدة، وحرمانهم من أبسط الحقوق التي كانت متاحة لبقية السكان في الجزيرة، لم يجد هؤلاء المنفيون خيارا سوى محاولة الفرار من الجزيرة، خاصة بعد استثنائهم من قانون العفو الصادر بتاريخ 11 جويلية 1880[4]، وقد سجلت أول عملية فرار سنة 1884، عندما نجح محمد بن قاسم في مغادرة الجزيرة غير أن السلطات الفرنسية تمكنت من القبض عليه بعد عام وأعادته إلى كاليدونيا الجديدة في سنة 1886، وقد تبعته في ذلك محاولة أخرى في 5 ديسمبر 1886، فر كل من رحمان بن محمد الحاج ومحمد أمزيان بن الشيخ الحداد

[1] نعيمة قنزاز، التهجير القسري...، المرجع السابق، ص6.

[2] نعيمة قنزاز، المنفيون الجزائريون...، المرجع السابق، ص 244.

[3] آمال مهدي، وآخرون، المرجع السابق، ص61.

[4] محمد بن ترار، وآخرون، المرجع السابق، ص 102.

مستخدمين وثائق مزورة، ونجحا في الوصول إلى الجزائر، إلا أن السلطات الاستعمارية تمكنت لاحقا من إلقاء القبض على رحمان بن محمد أو الحاج سنة 1888 وأعادته إلى كاليدونيا سنة 1889.

أما مزيان ابن الشيخ الحداد، فقد استطاع الإفلات من قبضة الفرنسيين بعد وصوله إلى الجزائر، حيث ساعده اختفاءه السريع على الفرار إلى جبال القبائل وظل متواريا فيها.

وفي 19 ماي 1888 نجح علي أو سعيد بمعية عمر بن العونوقي في الفرار من الجزيرة إلى الجزائر إلا السلطات الفرنسية ألقت القبض عليه بتونس وأعيد إلى كاليدونيا الجديدة في 12 أوت 1893.[1]

وتعد عملية فرار سي عزيز بن الشيخ الحداد من أبرز عمليات الهروب التي وثقتها السلطات الفرنسية، نظرا لما أثارته من حالة طوارئ واستنفار في الجزائر وفرنسا، ويعود ذلك إلى ثقل شخصيته، إذا كان من الرموز البارزين في ثورة 1871 بمنطقة القبائل، كما كان من أهم قادة الزاوية الرحمانية[2]، وقبل فراره كان سي عزيز يكتب رسائل الشوق والحنين إلى أقاربه وأصدقائه ووالده في الجزائ، لكن طول مدة النفي دفعت به إلى مراسلة ممثلي السلطات الفرنسية المدنييت والعسكريين يطلب منهم العفو عنه والرحمة به وأبنائه الصغار، ولما يئس من العفو عزم سي عزيز أن يتدبر أمر فراره بنفسه، وهذا ما قام به حتى بلغ استراليا في شهر أفريل 1881[3]، وقد أشار في إحدى رسائله إلى المخاطر الشديدة التي واجهها خلال رحلته أثناءعبوره البحر الهائج، حيث تنقل عن متن زوارق صغيرة من

[1] الصديق تاوتي، المرجع السابق، ص 151.

[2] محمد بن شرار، وآخرون، المرجع السابق، ص 103.

[3] بشير فايد، جوانب من حياة الشيخ سي عزيز ابن الحداد، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة سطيف، ص 72.

جزيرة إلى أخرى، حتى وصل إلى لزيلندا الجديدة ومنها استقل سفينة أقلته إلى مدينة سيدني بأستراليا.[1]

ومنها كان يأمل بلوغ مكة التي لا تفصيلها عن استراليا سوى مسيرة 25 يوما، لكنه بقي هناك خوفا من التوقيف بقناة السويس التي تعد المعبر الوحيد إلى مكة خاصة بعدما علم أن فرنسا زرعت رجلها يتتبعون أثره في كل مكان، لكن بعد استفادة من العفو في فبراير 1995 ومنعه من العودة إلى الجزائر من قبل الحاكم العام الذي اعتبرها خاطرا على الأمن، سافر سي عزيز إلى باريس أين توفي هناك في 22 أوت 1995م.[2]

[1] الصديق تاوتي، المرجع السابق، ص 148-149.

[2] محمد بن تزار، وآخرون، المرجع السابق، ص 103.

خلاصة:

من خلال ما سبق يمكن القول بأن الإدارة لفرنسية عملت على استقبال المنفيين الجزائريين داخل كاليدونيا الجديدة بوضعهم في مختلف المعتقلات العسكرية وذلك من أجل تسليط أبشع أنواع العذاب عليهم والتي تمثلت في المعاملات القاسية وتكليفهم بالأعمال الشاقة وهذا ما جعلهم يعيشون في معاناة كبيرة إثر هذه الظروف الغير الملائمة وكذا تعرضهم إلى العديد من الأمراض نتيجة لتدهور الأوضاع الصحيحة.

إلا أن هؤلاء المنفيين الجزائريين قد صبروا على مصيرهم المشؤوم وحاولوا التكييف والتعايش معه حيث بعد إطلاق سراحهم من المحتشدات العقابية وأخذ نسبة من حريتهم أصبحوا يعملون في مختلف الأنشطة الاقتصادية كالزراعة، وذلك من أجل جلب لقمة العيش بالإضافة إلى إقامة علاقات طيبة مع الفرنسيين المهجرين والسكان الأصليين.

وبالرغم من كل المعاناة إلا أنهم لم يتخلوا على مبادئهم الدينية كالصلاة والصوم وغيرهما.

كما حرصت السياسة الفرنسية كل الحرص على إبقاء هؤلاء المنفيين في الجزيرة دون رجعة لتجنب محاولة القيام بمقاومة أخرى، إلا أنه كانت محاولات حول الرجوع إلى البلاد والتي تمثلت في الشيخ السي عزيز ابن الشيخ الحداد.

خاتمة

خاتمة

وما نستخلصه في الأخير من دراستنا لمقاومة الشعبية التي اندلعت في سنة 1871، وردود الفعل الفرنسية عليها، وظروف المنفيين الجزائريين في كاليدونيا الجديدة، تكتشف بوضوح عمق الصراع بين المشروع الاستعماري الفرنسي والمجتمع الجزائري في مختلف تجلياته العسكرية، السياسية والثقافية، فقد كانت مقاومة المقراني والحداد أكثر من مجرد رد فعل على ضغوط استعمارية بل هي تعبير صادق عن رفض جذري لواقع مفروض بقوة الحديد والنار ورفض المساس بالسيادة الدينية والوطنية للشعب الجزائري.

وتبرز السياسات الفرنسية القمعية التي تلت فشل المقاومة الوجه العنيف للاستعمار، حيث لم تكتفي السلطة الاستعمارية باحتماد المقاومة ميدانيا بل عملت على الانتقام من زعمائها وكذا من التفت حول هذه المقاومة من الشعب الجزائري من خلال عزلهم ماديا ومعنويا عن محيطهم الاجتماعي، ويعد النفي إلى كاليدونيا الجديدة نموذجا لهذه المقاربة العقابية التي أرادت بها فرنسا التخلص من مشكلة الثوار عبر نفيهم إلى أقاصي الأرض حيث اعتقدت أنها ستنجح في تذويبهم داخل مجتمع غريب ومقطوع عن جذورهم، غير أن الواقع أثبت عكس ذلك، إذ أظهر المنفيون قدرة كبيرة على الصمود في وجه العزلة والحرمان وتمسكا قويا بمقومات هويتهم الاسلامية والثقافية، كما تحولت تجربتهم رغم مأسويتها إلى شاهد قدرة الانسان الجزائري على المقاومة والصبر والتكيف، وإلى جزء لا يتجزأ من الذكرة الوطنية الجماعية، التي ظلت تحتفظ بتضحياتهم ومواقفهم عبر الأجيال.

كما أن هذا الجانب من تاريخ الجزائر الذي طالما همشته الكتابات الرسمية يحتاج إلى مزيد من البحث والاستقصاء باعتباره يضيء زاوية مهمة من مسيرة النضال ضد الاستعمار، ويظهر أن معركة الحرية لم تكن محصورة داخل الوطن فحسب بل امتدت أيضا إلى المنافي والمهاجر، حيث استمرت المقاومة بأشكالها الرمزية والوجدانية، محتفظة بروحها الأصلية في وجه محاولات الطمس والنسيان.

الملاحق

الملحق رقم 01: صورة الشيخ حداد[1]



الملحق رقم 02: صورة للشيخ محمد المقراني[2]



[1] يسمينة لعزازي، مرجع سابق، ص 101.

[2] علي بطاش، المرجع السابق، ص 137.

الملحق رقم 03: صورة لبومرزاق المقراني[1]



الملحق رقم 04: صورة لسي عزيز ابن الشيخ الحداد[2]



[1] بسام العسلي، المرجع السابق، ص 162.

[2] علي بطاش، المرجع السابق، ص 16.

الملحق رقم 05: خريطة توضح المسافة بين الجزائر وكاليدونيا الجديدة[1]



[1] عبيس منال، وآخرون، المرجع السابق، ص 84.

الملحق رقم 06: نص القرار الخاص بمصادرة أملاك المقراني[1]

نص القرار الخاص بمصادرة

أملاك المقراني[1]

نحن والي الجزائر، بعد النظر في الفصل العاشر وما يليه من الأمر المؤرخ في ٣١ تشرين الأول- أكتوبر- سنة ١٨٤٥، واطلاعه على الشرط الثاني من الفصل الثاني والعشرين من المرسوم الاشتراعي المؤرخ في ١٦ نيسان- حزيران- يونيو سنة ١٨٥١، والفصل السابع من قانون ديوان أعيان الدولة المؤرخ في ٢٢ نيسان- إبريل- ١٨٦٣، وبعد دراسة ما ارتكبه الحاج محمد المقراني باش آغا مجانة، كان في ولاية قسنطينة من العداوة البينة والفتنة الثابتة للدولة الجمهورية الافرنسية، أمرنا بما سيأتي ذكره مفصلاً:

الفصل الأول: قد أجرينا الثقاف على جميع ممتلكات الحاج محمد باش آغا المذكور، ووضعنا يد الحيازة عليها سواء كانت منقولة أو غير منقولة، مما يثبت وجوده في أوطان ولاية الجزائر.

الفصل الثاني: قد ألزمنا جميع حائزي أملاكه ومستودعيها ومستعيريها وعامليها ومكتريها والمتصرفين فيها بأي وجه كان، وكل من عليه دين له، أو عناء أو نحو ذلك من التعلقات المالية أن يصرحوا بما عليهم وما بذمتهم في مدة ثلاثة أشهر تبدأ من تاريخ أمرنا هذا، وقد أطلقنا لإدارة الدومين- أو الخزانة- أن تتصرف بجميع أملاكه على مقتضى الشروط المشمولة في الفصل الثاني من هذا الأمر المؤرخ في ٣١ تشرين الأول- أكتوبر- ١٨٤٥.

الفصل الثالث: قد أجرينا الثقاف أيضاً على أنواع أملاك الأعراش والعرب الذين خرجوا عن الطاعة مع المقراني، ومن سيخرج، ووضعنا عليها يد الحيازة سواء كانت شخصية أو مشاعة ثم ان أمرنا هذا العام الشأن سيفصل أحكاماً خصوصية تصدر كلما طلبها من له النظر فيها والاحتياج إليها، ويكون كل فرد معنياً فيها باسمه.

الفصل الرابع: سينجز من الآن أمرنا هذا الموجه إلى وزير الداخلية للموافقة عليه.

الفصل الخامس: إن عمال العمالات (الولايات) ومتصرفي الأمور التابعين للحكم العسكري هم المكلفون بإنجاز وتنفيذ أمرنا هذا كل واحد منهم فيما يخصه.

كتب في الجزائر يوم ٢٥ آذار- مارس- سنة ١٨٧١

[1] أميرة عثمانة، المرجع السابق، ص 84.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: كتب:

1. أندرى جوليان شارل، تاريخ الجزائر المعاصر الغزو وبدايات الاستعمار، دار الأمة، الجزائر، 2008.
2. أوصديق الطاهر، الحركة الثورية في 1871، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984.
3. بحوش عمار، التاريخ السياسي من البداية ولغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
4. بلاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصر 1830_1989، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006.
5. بورنان سعيد، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر1830_1962م، رواد المقاومة الوطنية في القرن 19م، ط3، دار الأمل للنشر والتوزيع، تيزي وزو.
6. بوعزيز يحي، الكفاح المسلح من خلال وثائق المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر.
7. بوعزيز يحي، ثورة الباشاغا محمد المقرني والشيخ الحداد 1871، ط.خ.و.م، دار عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
8. بوعزيز يحي، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830_1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
9. بوعزيز يحي، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دط، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
10. بوعزيز يحي، موقف العائلات الأرستقراطية من الباشاغا مهد المقراني وثورته عام 1871، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1994.
11. تاوتي الصديق، المبعدون إلى كاليدونيا الجديدة مأساة هوية منفية، ط1، دار الأمة للطباعة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

12. تميم آسيا، الشخصيات الجزائرية 100 شخصية، دط، دار المسك للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
13. الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر المعاصر، ج5، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.
14. دردور سمير نور الدين، جريمة الابعاد القسري في ظل القانون الدولي الانساني ابعاد الجزائريين إلى كاليدونيا الجديدة نموذجا، شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات.
15. سعد الله أبو القاسم ، أبحاث وآراء لتاريخ الجزائر، جزء 01، ط02، الجزائر، 1987.
16. سعد الله أبو القاسم ، الحركة الوطنية 1860م_1900م، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، 2000.
17. شريط عبد الله، محمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، ط1، مكتبة البحث للنشر والتوزيع، الجزائر، 1965.
18. العسلي بسام، محمد المقراني وثورة 1871م الجزائرية دار النفائس، بيروت، لبنان،2010.
19. علي بطاش، لمحة عن تاريخ منطقة القبائل حياة الشيخ الحداد وثورة1871م، ط3، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
20. عميراوي أحميدة، موضوعات من تاريخ الجزائر الساسي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2003.
21. عيساوي محمد، نبيل شريخي، الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري (1830_1871م)، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011.
22. فركوس صالح، تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي (المقاومة المسلحة 1830_1862م)، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر.
23. قداش محفوظ، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830_1954، تعبيئة 69.

24. قنان جمال، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ط المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار وحدة الطباعة بالرويبة، الجزائر، 1994.

25. كوران أرجمنت، السياسة العثمانية تجاه احتلال الجزائر، تر: عبد الجليل التميمي، د، ط2، الشركة التونسية لفنون الرسم، 1970.

26. المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية للنشر والطباعة، القاهرة، 2016.

27. مزيان سعدي، السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها 1871-1914، دار السنحق للكتاب، دط، دب، 2010.

28. مقلاتي عبد الله، في جذور الثورة الجزائرية مقاومة المستعمر المستمرة من الاحتلال إلى فاتح 1954، موسوعة تاريخ الثورة الجزائرية، دط، دار شمس الزيان، الجزائر، 2013.

29. منور العربي، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن 19م، دار المعرفة، الجزائر، 2006.

30. ميلي جومان، ترحيل قرويي وثوار القبائل الكبرى إلى كاليدونيا الجديدة (1872_1876)، نشر الأستاذ أيت شلال، دار ومركز الإمام العالي ونشر التراث، باريس، 2013.

31. نويهض عادل، معجم إعلام الجزائر من صدر الإسلام في العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض، بيروت، 1980.

32. واشن مزيان، مجانة عاصمة امارة المقرانيين (ثلاث قرون من النضال السياسي والجهاد العسكري في القرن 16 و 19م)، دط، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.

33. ولد الحسين محمد الشريف، من المقاومة إلى الحرب منذ الاستقلال 1830_1962م، دط، دار القصبة، الجزائر، 2010.

ثانيا: مذكرات ورسائل ماجستير:

1. إلهام منصور وحشية، بولكباش سعاد، التعبئة الشعبية في المقاومات المسلحة الوطنية المقراني نموذجاً، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ، تاريخ المقاومة والحركة الوطنية، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2019_2020.
2. بلحاج مريم، مهجري ثورة المقراني إلة كاليدونسيا الجديدة، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة المسيلة، الجزائر، 2015_2016م، ص60.
3. بودخانة سليمة، نفي رواد المقاومة الجزائرية إلى الخارج من 1830 إلى 1871، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2004-2005.
4. حناني فاطمة، زيتوني حميدة، المقاومات الشعبية من خلال كتابات يحي بوعزيز، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، التاريخ المعاصر، جامعة عمار تليجي الأغواط، 2015_2016م.
5. دريسي أم هاني، مقاومة المقراني 1871م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ (تاريخ حديث ومعاصر)، جامعة غرداية، الجزائر، 2017_2018.
6. روابحي العياشي، أسرة المقراني وعلاقتها بالإدارة الاستعمارية 1837_1871م، رسالة لنيل الماجيستر في التاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة،2007_2008.
7. زرقين خيرة، عبد الحميد زرقين، انعكاسات الحرب البروسية على الجزائر (1870_1900م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ، تاريخ معاصر وحديث، جامعة الجلفة، 2013_2014م).
8. شريفي سهام، حاج بن فطيمة خليدة، قضايا وطنية من خلال كتاب "موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب"، ليحي بوعزيز (1866_ 1961م)، أنموذجاً، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة المدية، الجزائر، 2015_2016.

9. عبيبس منال، شياخ حفصة، سياسة الإبعاد والنفي إبانة الاحتلال الفرنسي للجزائر، 1872-1900- المبعدون إلى كاليدونيا الجديدة نموذجا، مذكرة ماستر، التاريخ، تاريخ المغرب العربي المعاصر، جامعة أدرار، الجزائر، 2021-2022.
10. عثامنة أميرة، قبيلة أولاد مقران في العهد العثماني بداية الاحتلال الفرنسي (1516_1871م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ، تاريخ الجزائر الحديث، جامعة محمد بوضياف_المسيلة، الجزائر.
11. عثماني جمعة، محي الدين الجزائري وثورة المقراني والرحمانيين (1870_1871م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ، تاريخ الوطن العربي المعاصر، جامعة بسكرة، الجزائر، 2018_2019.
12. فايد بشير، جوانب من حياة الشيخ سي عزيز ابن الحداد، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة سطيف.
13. فرحاتي هالة، مقاومة المقراني والحداد 1871م، مذكرة لنيل شهادة الماستر التاريخ، تاريخ معاصر، جامعة بسكرة، 2014_2015.
14. قنزاز نعيمة، المنفيون الجزائريون إلى كاليدونيا الجديدة وقويانا بعد ثورة (1871) دراسة تحليلية لكتاب المبعدون الجزائريون إلى كاليدونيا الجديدة، مأساة هوية منفية: أبعاد ونتائج ثورة المقراني والشيخ الحداد، للدكتور صديق تاوتي، رسالة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، علم الاجتماع الثقافي، جامعة الجزائر، الجزائر، 2014-2015.
15. لعزازي يسمينة، المقاومات الشعبية في الجزائر 1830_1871م مقاومة المقراني 1871م نموذج، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ، التاريخ الحديث (1453_1881م)، جامعة البويرة، 2016_2017.
16. مهداوي أمال. عطايلية وردة، انتفاضة 1871م وأثرها الاجتماعي على الجزائريين النفي إلى كاليدونيا الجديدة "أنموذجا" مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة قالمة، الجزائر، 2021-2022.
17. وشن مزيان، سياسة الهجرة والتهجير أسلوب استعماري في الجزائر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة.

ثالثا: مجلات:

1. بلعيدي عز الدين، لرباس نبيلة، كاليدونيا منفي الثوار الجزائريين (1864_1895)، "المجلة التاريخية الجزائرية"، العدد2، المجلد08، الجزائر، 2024.
2. بن تزار محمد، قراءة في ردود الفعل الفرنسية على مقاومة 1871 خلال الوثائق الأرشيف النفي نموذجاً، " المجلة الجزائرية للدراسات الانسانية"، المجلد 07،العدد01، 2024.
3. تابتي حياة، دور الطريقة الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي مقاومة المقراني والحداد 1871م أنموذجاً، "مجلة تاريخ المغرب العربي"، المجلد8، العدد2، جامعة أبي بكر بلقايد (تلمسان)، ديسمبر 2022م.
4. حنيفي هلايلي، الظروف التاريخية المهددة لثورة المقراني والشيخ الحداد ونتائجها على السياسة الاستعمارية، العدد08، جامعة سيدي بلعباس.
5. العربي عمر، المنفيات الجزائريات إلى المستعمرات الفرنسية 1835-1898م، "مجلة عصور الجديدة"، المجلد 13، العدد 2، جامعة وهران 1، (الجزائر)، 2023م.
6. قرين عبد الكريم، جرائم الاستعمار الفرنسي (معتقل كاليدونيا أنموذجا)، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، المجلد 05، العدد 02، جامعة قالمة، الجزائر 2020.
7. قنزاز نعيمة، التهجير القسري للجزائريين إلى كاليدونيا الجديدة كريميو ضد الإنسانية، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، 01.01.2015، بجاية.
8. محمدي محمد، ثورة المقراني بمجانة في الشرق الجزائري سنة 1871م: ثورة للمال أو للمال، "المجلة المغار للمخطوطات، المجلد7، العدد1، جامعة محمد بوضياف_المسيلة، الجزائر، 2019.
9. ناصر محمد، المقالة الصحفية الجزائرية (نشأتها، تطورها، أعمالها) من 1903 إلى 1931، المجلد الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.
10. ناقل عائشة، ولد البنية كريم، فرق الصبايحية واستغلالها داخل الاستراتيجية الاستعمارية في الجزائر 1830_1845، "مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية"، المجلد 12، العدد1، جامعة حسيبة بن بوعلي شلف، 2019.

11. هاشمي كوثر، المقاومة الشعبية في الجزائر 1830_1871، مقاومة المقراني نموذجاً، "مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية"، الجلد7، العدد 2، جامعة 08 ماي 1945م قالمة، الجزائر، 2023.

12. ورتي جمال، مواقف الجزائريين من الحرب البروسية_ الفرنسية 1870_1871م، انتفاضة صبايحية عين قطار نموذجاً، المركزالجامعي سوق أهراس.

رابعا: مواقع الكترونية:

1. جزائريو جزيرة كاليدونيا أو عرب كاليدونيا، اتحاد النسبيين العرب أكبر موقع في الأنساب 06.08.2020

http// :www.athassabon.com/dhowthoad.php ?=86751.06/05/2025.1 0 :05$

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
شكر	–
إهداء	–
قائمة المختصرات	–
مقدمة	2
المبحث الأول: مقاومة الشيخ حداد والمقراني	
المطلب الأول: مقاومة الشيخ الحداد	10
المطلب الثاني: مقاومة الشيخ محمد المقراني	19
المطلب الثالث: نتائج المقاومة	43
خلاصة	47
المبحث الثاني: ردود فعل الفرنسية على مقاومة الحداد والمقراني	
المطلب الأول: الإجراءات الفرنسية اتجاه المقاومين	50
المطلب الثاني: سلسلة المحاكمات في حق المقاومين الجزائريين	54
المطلب الثالث: تهجير المقاومين الجزائريين نحو كاليدونيا	56
خلاصة	63
المبحث الثالث: مراكز الإستقرار الجزائريين بكاليدونيا	
المطلب الأول: ظروف الإقامة (البيئة في مستعمرة الفرنسية الكاليدونيا الجديدة)	66
المطلب الثاني: نشاطهم	74
المطلب الثالث: صدور قرارات العفو	77
خلاصة	83
خاتمة	88
قائمة الملاحق	90
قائمة المصادر والمراجع	95
فهرس المحتويات	103
ملخص	105

ملخص

ملخص:

تعد مقاومة سنة 1871، رغم قصر مدتها الزمنية، واحدة من أكبر المقاومات الشعبية التي عنت مختلف أنحاء الوطن، وقد قابل الاستعمار الفرنسي هذه الانتفاضة بردود فعل قاسية، خصوصا تجاه قادتها، حيث نظم سلسلة من المحاكمات الصورية التي أفضت إلى إصدار أقسى العقوبات، وعلى رأسها النفي والإبعاد.

فقد تم ترحيل عدد كبير من المقاومين، خاصة من أتباع المقراني والحداد، إلى جزيرة كاليدونيا الجديدة، التي استقبلت أكبر عدد من المنفيين وقد جرت عملية الترحيل ضمن رحلة طويلة وشاقة دامت قرابة خمسة أشهر، في ظروف غير إنسانية، أودت بحياة بعضهم، فيما وضع الباقون في معتقلات على أرض غربية، مقابل وعود بالحصول على حريتهم.

ورغم كل المعاناة، تملك المنفيون بجذورهم وهويتهم، وشكلوا مجتمعا جزائريا متماسكا في المنفى غير أن حنينهم إلى الوطن لم ينقطع، فطالب كثيرون بالعودة، وتمكن بعضهم من الاستفادة من قرارات العلو، بينما ام آخرون منها، مثل سي عزيز ابن الشيخ الحداد، وبومرزاق الذي تأخرت جودته بسبب تخوف السلطات الفرنسية من تأثيره وخطورته.

الكلمات المفتاحية: مقاومة 1871م، المهجرون، النفي والإبعاد، كاليدونيا الجديدة.

Summary

The 1871 resistance, despite its short duration, was one of the largest popular Ingredients that spread across the country. The French colonial authorities reacted harshly to this uprising, especially toward its leaders, by organizing a series of mock trials that resulted in the harshest punishments, most notably exile and deportation.

A large number of resisters, particularly followers of Mokrani and El-Haddad, were deported to New Caledonia, which received the largest number of exiles. The deportation process involved a long and arduous journey lasting nearly five months under inhumane conditions. Some lost their lives, while others were placed in detention camps on foreign land in exchange for promises of gaining their freedom.

Despite all the suffering, the (xiles held firmly to their roots and identity, forming a cohesive Algerian community in exile. However. their longing for the homeland never ceased. Many demanded to return, and while some benefited from amnesty decisions, others were dented, such as Si Aziz, the son of Sheikh El-Haddad, and Boumezrag. Whose return was delayed due to the French authorities' fear of his influence and perceived threat.

Keywords: Resistance of 1871, deportees, exile and displacement, New Caledonia